إتحاف أهل الحق

بشرح منظومة منهج الحق

للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تأليف

د. بركة بنت مضيف الطلحي

تقديم فضيلة العلامة الشيخ الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic University of Madinah Munawwarah

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. وبعد:

فإن العناية بشرح كتب السلف من أعظم المطالب ومن أشرف المقاصد إذ أنها تنطق بالحكمة وتبنى على الدليل من الكتاب والسنة مع تحري للصواب والصدق وسلامة القلب والتجرد للدليل مع ما حباهم الله من علم نافع وعمل صالح وإخلاص ورغبة فيما عند الله تعالى. فيجدر لطلبة العلم أن يفيدوا من كتب السلف وأن يعتنوا بها دراسة وشرحاً.

هذا وقد قامت الباحثة الأخت د. بركة بنت مضيف الطلحي بشرح كتاب منظومة أصول الحق للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رحمه الله). وعنوانه: (إتحاف أهل الحق بشرح منظومة منهج الحق)

وقد قرأت هذا البحث فألفيته بحثاً نافعاً ماتعاً عُنيت الباحثة بهذه المنظومة شرحاً وتوضيحاً وتحقيقاً وتفصيلاً لما أجمل، وجهودها واضحة في هذا العمل المبارك. يمتاز بالدقة وسلامة المنهج والإفادة من المصادر الأصيلة ولا غرو فهي طالبة علم جادة وباحثة متميزة لديها اهتمامات بالكتابة في التأصيل لمنهج السلف من خلال بحوث ورسائل المتميزة، وهذا الشرح بحث نفيس يحتاج إليه كل طالب للحق لا سيما طلبة العلم.

أسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يثقل به حسنات موازين الأخت الباحثة وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص والصواب في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أملاه الفقير لعفو ربه:
صالح بن سعد السحيمي الحربي
٢٠/٣/١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - ص.ب ٦٤٧ - فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ - جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawarah - P.O.Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور/ فهد بن سليمان الفهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

فهد بن سليمان الفهيد

الرقم: ....

التاريخ: ٨/٦/١٤٣٤هـ

المرفقات: ....

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أمابعد:.

فقد اطلعت على هذا الشرح الذي عنوانه : (إتحاف أهل الحق بشرح منظومة المنهج الحق) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي وتولى شرح هذه المنظومة الأخت الفاضلة الشيخة الدكتورة: بركة بنت مضيف الطلحي، وهو شرح مختصر ومفيد أسأل الله تعالى للناظم المغفرة والرحمة وحسن الجزاء.

وأسأل الله تعالى للشارحة لهذا النظم الأخت الشيخة الدكتورة بركة بنت مضيف الطلحي التوفيق والسداد والمزيد من الخير ونفع الخلق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه / فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

يوم الخميس ٨/ ٦/ ١٤٣٤هـ

الرياض ص.ب ٩٤٧ - الرمز البريدي ١١٣٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الحميد، رب العرش المجيد، الفعال لما يريد، الذي صرف الخلق كما يشاء ويريد، والصلاة والسلام على النبي الأمي، الذي أرسله ربه بالقرآن المجيد، هدى وبشرى للمؤمنين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن نظم العلم من أفضل ما قيد به، ومن أجمل ما حفظ به، لذا كان العلماء يهتمون بنظم العلم حتى يسهل على الطلبة حفظه واستذكارها عند الحاجة إليه، ومن المنظومات المباركة التي نفع الله بها الناس: منظومة منهج الحق للعلامة عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي منظومة تجمع بين أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة والأخلاق والآداب الإسلامية ، والأذكار النبوية، فهي بحق ترسم أهم معالم منهج الحق الذي اختاره الله لعباده في أبيات قليلة يسهل حتى على المبتدئين حفظها.

وقد شرحتها في دروس في المسجد النبوي في شهر رمضان من العام الثاني والثلاثين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ورأيت من تمام الفائدة أن أخرج الشرح في كتاب حتى يستفاد منه ووسمته بـ:

(إتحاف أهل الحق بشرح منظومة منهج الحق)

وقد زادها تألقاً وبهاءاً تكرم فضيلة الشيخ العلامة الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي، والشيخ العلامة الدكتور/ فهد بن سليمان الفهيد بالتقديم لها بعد مراجعتها وتوشيحها بتوجيهاتهم النيرة، بارك الله في علمهم وعملهم وأحسن إليهم.

أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الشرح من يقرأه ويطلع عليه وأن يتقبله قبولاً حسناً، كما أسأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للناظم الفردوس الأعلى من الجنة وأن يجزيه خير ما جزى به عباده الصالحين. آمين.

كتبته

بركة بنت مضيف الطلحي

ترجمة الناظم

نسبه:

هو الشيخ العلامة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم. ومساكن بعض بني عمرو بن تميم في بلدة قفار إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل عاصمة المقاطعة الشمالية من نجد.

قدمت أسرة آل سعدي من بلدة المستجدة أحد البلدان المجاورة لمدينة حائل إلى عنيزة حوالى عام ١١٢٠هـ، أما نسبه من قبل والدته فأمه من آل عثيمين.

مولده ونشأته:

ولد في مدينة عنيزة في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة.

وتوفيت أمه سنة ١٣١٠هـ، وتوفي والده سنة ١٣١٣هـ فعاش يتيم الأبوين، وكان والده من أهل العلم والصلاح، وكان إماماً في مسجد المسوكف في عنيزة.

فنشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثته بالصلاح والتقىٰ، وأقبل علىٰ العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم علىٰ علماء بلده والبلاد المجاورة لها، ومن يرد إلىٰ بلده من العلماء وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكاراً حتىٰ أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل.

ومن أشهر مشائخه:

١. الشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل ١٢٥٧-١٣٤٣هـ.

٢. الشيخ العابد المقرئ المجود عبدالله بن عائض ١٢٤٩- ١٣٢٢هـ

٣. الشيخ إبراهيم بن جاسر ١٢٤١- ١٣٣٨هـ.

٤. الشيخ صعب بن عبدالله التويجري ١٢٥٣- ١٣٣٩هـ.

٥. الشيخ علي بن محمد السناني١٢٦٣-١٣٣٩هـ.

أخلاقه:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحيماً بالناس، متودداً لهم، محباً لنفعهم، صبوراً عليهم. وكان طلق المحيا، ذا دعابة ومرح، لا يُعْرَفُ الغضب في وجهه، وكان ينزل الناس منازلهم، ويحرص على القرب منهم، وإجابة دعواتهم، وزيارة مرضاهم، وتشييع جنائزهم.

وكان على جانب كبير من عفة اليد، ونزاهة العرض، وعزة النفس، وكان محباً لإصلاح ذات البين.

مؤلفاته:

مؤلفاته كثيرة ومن أشهرها التفسير، والقواعد الحسان، والفتاوى، وبهجة قلوب الأبرار، وغيرها.

وأعظم كتبه، وأشهرها وأكثرها سيرورةً في الناس تفسيره المعروف بـ: [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان]، أو ما يسمىٰ بـ: [تفسير السعدي].

وخلاصة القول أنها تزيد علىٰ ثلاثين مؤلفًا في أنواع العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد ومحاسن الإسلام والرد علىٰ المخالفين والجاحدين **ومنها هذه المنظومة المباركة** التي بين أيدينا.

تلاميذه:

تلامذته كثيرون جداً فمنهم أفواج من أهل بلدة عنيزة ومنهم طوائف من غيرها وأذكر هنا بعضهم:

١. الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام.
٢. الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع.
٣. الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين وهو الذي قام بعده بإمامة الجامع وخطابته والوعظ والتدريس في المكتبة.

٤. الشيخ علي بن محمد بن زامل آل سليم.

٥. الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل.

٦. الشيخ محمد بن منصور آل زامل.

٧. الشيخ سليمان بن صالح بن حمد البسام عم الشيخ عبدالله ابن عبدالرحمن البسام وكان من خاصته.

وفاته:

أصيب عام ١٣٧١هـ قبل وفاته بخمس سنين بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين، فكان يعتريه مرة بعد أخرىٰ إلىٰ أن توفاه الله قبل طلوع فجر يوم الخميس ٢٣ من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ١٣٧٦هـ عن تسع وستين سنة [1].

(١) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام (ج٢/ ص٤٢٢-٤٢٩)، وروضة الناظرين عن علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي (ج١/ ص٢١٩-٢٢٥).

(منظومة في العقيدة والأخلاق)

للشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السِّعدي

(رحمه الله تعالى)

١. فَيَا سَائِلاً عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي	سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ
٢. تأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ	تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ
٣. نُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ	إِلَٰهٌ عَلَىٰ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمجَّدُ
٤. وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي	نُخَصِّصُهُ بِالحُبِّ ذُلًّا وَنُفْرِدُ
٥. فلِلَّهِ كُلُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ وَالثَّنَا	فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلٌّ إِلَىٰ اللهِ يَقْصُدُ
٦. تُسَبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَا	وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ
٧. تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلٍ	وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحَّدُ
٨. وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا	وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
٩. فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ	فسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ
١٠. هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظْمِ صِفَاتِهِ	وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ للهِ يَصْمُدُ
١١. عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ	قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالوَرَىٰ مُتَوَدِّدُ
١٢. هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الْجُودِ وَالْغِنَىٰ	وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ
١٣. أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً	وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ
١٤. وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِمِ كُلَّهَا	وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ

١٥. لَهُ الْـمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْـمُحِيطُ بِمُلْكِهِ وَحِكْمَتُـهُ الْعُظْمَـىٰ بِهَـا الْخَلْـقُ تَشْـهَدُ
١٦. وَنَشْـهَدُ أَنَّ اللهَ يَنْـزِلُ فِـي الـدُّجَىٰ كَمَـا قَالَـهُ الْـمَبْعُوثُ بِـالحَقِّ أَحْمَـدُ
١٧. وَنَشْـــهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَـــلَ رُسْـــلَهُ بِآيَاتِــهِ لِلْخَلْـــقِ تَهْـــدِي وَتُرْشِـــدُ
١٨. وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ بِحِكْمَتِــهِ جَــلَّ العَظِــيمُ الْـــمُوَحَّدُ
١٩. فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا نَبِــيُّ الهُــدَىٰ وَالعَالَــمِينَ مُحَمَّـــدُ
٢٠. وَخَصَّ لَهُ الرَّحمٰنُ أَصْحَابَهُ الأُلَىٰ أَقَـامُوا الْهُـدَىٰ وَالـدِّينَ حَقّـًا وَمَهَّـدُوا
٢١. فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا مَعَاشِــرَ أَهْــلِ الْحَــقِّ فَــرْضٌ مُؤَكَّــدُ
٢٢. وَمِـنْ قَـوْلِ أَهْـلِ الْحَـقِّ أَنَّ كَلَامَـهُ هُـوَ اللَّفْـظُ وَالمَعْنَـىٰ جَمِيعـًا مُجَـوَّدُ
٢٣. وَلَـيْسَ بِمَخْلُـوقٍ وَأَنَّـىٰ لِخَلْقِــهِ بِقَـــوْلٍ كَقَـــوْلِ اللهِ إِذْ هُـــوَ أَمْجَـــدُ
٢٤. وَنَشْـهَدُ أَنَّ الْخَيْـرَ وَالشَّـرَّ كُلَّـهُ بِتَقْـــدِيرِهِ وَالْعَبْـــدُ يَسْـــعَىٰ وَيَجْهَـــدُ
٢٥. وَإِيمَانُنَـــا قَـــوْلٌ وَفِعْـــلٌ وَنِيَّـــةٌ مِـــنَ الْخَيْـــرِ وَالطَّاعَــاتِ فِيهَــا نُقَيِّـدُ
٢٦. وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَىٰ وَيَـــنْقُصُ بِالعِصْـــيَانِ جَزْمًـــا وَيَفْسُـــدُ
٢٧. نُقِـــرُّ بِـــأَحْوَالِ القِيَامَـــةِ كُلِّهَـــا وَمَــا اشْــتَمَلَتْهُ الــدَّارُ حَقّــًا وَنَشْــهَدُ
٢٨. تَفَكَّـرْ بِآثَـارِ العَظِـيمِ وَمَـا حَـوَتْ مَمَالِكُـــهُ العُظْمَـــىٰ لَعَلَّـــكَ تَرْشُـــدُ
٢٩. أَلَـمْ تَـرَ هٰـذَا اللَّيْـلَ إِذْ جَـاءَ مُظْلِـمًا فَأَعْقَبَــهُ جَــيْشٌ مِــنَ الصُّــبْحِ يَطْــرُدُ
٣٠. تَأَمَّـلْ بِأَرْجَـاءِ السَّـمَاءِ جَمِيعِهَـا كَوَاكِبُهَـــــا وَقَّـــــادَةٌ تَتَـــــرَدَّدُ
٣١. أَلَـيْسَ لِهَـذَا مُحـدِثٌ مُتَصَـرِّفٌ حَكِـــيمٌ عَلِـــيمٌ وَاحِـــدٌ مُتَفَـــرِّدُ

٣٢. بَلَىٰ وَالَّـذِي بِـالحقِّ أَتْقَـنَ صُـنْعَهَا ... وَأَوْدَعَهَـا الأَسْـرَارَ للهِ تَشْـهَدُ
٣٣. وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِـمَنْ كَـانَ مُوقِنًا ... وَمَـا تَنْفَـعُ الْآيَـاتُ مَـنْ كَـانَ يَجْحَـدُ
٣٤. وَفِـي الـنَّفْسِ آيَـاتٌ وَفِيهَـا عَجَائِـبٌ ... بِهَـا يُعْـرَفُ اللهُ العَظِـيمُ وَيُعْبَـدُ
٣٥. لَقَـدْ قَامَـتِ الْآيَـاتُ تَشْـهَدُ أَنَّـهُ ... إِلَـهٌ عَظِـيمٌ فَضْـلُهُ لَـيْسَ يَنْفَـدُ
٣٦. فَمَـنْ كَـانَ مِـنْ غَـرْسِ الْإِلَـهِ أَجَابَـهُ ... وَلَـيْسَ لِمَـنْ وَلَّـىٰ وَأَدْبَـرَ مُسْعِـدُ
٣٧. عَلَيْـكَ بِتَقْـوَىٰ اللهِ فِـي فِعْـلِ أَمْـرِهِ ... وَتَجْتَنِـبُ الْمَنْـهِيَّ عَنْـهُ وَتُبْعِـدُ
٣٨. وَكُـنْ مُخْلِـصًا للهِ وَاحْـذَرْ مِـنَ الرِّيَـا ... وَتَـابِعْ رَسُـولَ اللهِ إِنْ كُنْـتَ تَعْبُـدُ
٣٩. تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحمٰنِ حَـقًّا وَثِـقْ بِـهِ ... لِيَكْفِيـكَ مَـا يُغْنِيـكَ حَـقًّا وَتَرْشُـدُ
٤٠. تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِـحُكْمِهِ ... وَصَـابِرْ عَلَـىٰ الطَّاعَـاتِ عَلَّـكَ تَسْـعَدُ
٤١. وَكُـنْ سَـائِرًا بَـيْنَ الْـمَخَافَةِ وَالرَّجَـا ... هُمَـا كَجَنَـاحَيْ طَـائِرٍ حِـينَ تَقْصِـدُ
٤٢. وَقَلْبَـكَ طَهِّـرْهُ وَمِـنْ كُـلِّ آفَـةٍ ... وَكُـنْ أَبَـدًا عَـنْ عَيْبِـهِ تَتَفَقَّـدُ
٤٣. وَجَمِّـلْ بِنُصْـحِ الْخَلْـقِ قَلْبَـكَ إِنَّـهُ ... لَأَعْلَـىٰ جَمَـالٍ لِلْقُلُـوبِ وَأَجْـوَدُ
٤٤. وَصَـاحِبْ إِذَا صَـاحَبْتَ كُـلَّ مُوَفَّـقٍ ... يَقُـودُكَ لِلْخَيْـرَاتِ نُصْـحًا وَيُرْشِـدُ
٤٥. وَإِيَّـاكَ وَالْـمَرْءَ الَّـذِي إِنْ صَـحِبْتَهُ ... خَسِـرْتَ خَسَـارًا لَـيْسَ فِيـهِ تَـرَدُّدُ
٤٦. خُذِ العَفْوَ مِنَ أَخْلَاقِ مَنْ قَـدْ صَـحِبْتَهُ ... كَمَـا يَـأْمُرُ الـرَّحْمَنُ فِيـهِ وَيُرْشِـدُ
٤٧. تَرَحَّـلْ عَـنِ الـدُّنْيَا فَلَيْسَـتْ إِقَامَـةً ... وَلَكِنَّهَـا زَادٌ لِمَـنْ يَتَـزَوَّدُ
٤٨. وَكُـنْ سَـالِكًا طُـرْقَ الَّـذِينَ تَقَـدَّمُوا ... إِلَـىٰ المَنْـزِلِ البَـاقِي الَّـذِي لَـيْسَ يَنْفَـدُ

٤٩. وَكُـنْ ذَاكِـرًا للهِ فِـي كُـلِّ حَالَـةٍ   فَلَـيْسَ لِـذِكْرِ اللهِ وَقْـتٌ مُقَيَّـدُ
٥٠. فَـذِكْرُ إِلٰـهِ الْعَـرْشِ سِـرًّا وَمُعْلَـنًا   يُزِيـلُ الشَّـقَا وَالهَـمَّ عَنْـكَ وَيَطْـرُدُ
٥١. وَيَجْلِـبُ لِلْخَيْـرَاتِ دُنْـيَا وَآجِـلاً   وَإِنْ يَأْتِـكَ الْوَسْـوَاسُ يَـوْمًا يُشَـرِّدُ
٥٢. فَقَدْ أَخْبَرَ المُخْتَارُ يَـوْمًا لِصَحْبِهِ   بِـأَنَّ كَثِيـرَ الـذِّكْرِ فِـي السَّـبْقِ مُفْـرِدُ
٥٣. وَوَصَّـىٰ مُعَـاذًا يَسْـتَعِينُ إِلٰـهَهُ   عَلَـىٰ ذِكْـرِهِ وَالشُّـكْرِ بِالْحُسْـنِ يَعْبُـدُ
٥٤. وَأَوْصَـىٰ لِشَخْصٍ قَدْ أَتَىٰ لِنَصِيحَةٍ   وَقَـدْ كَـانَ فِـي حَمْـلِ الشَّـرَائِعِ يَجْهَـدُ
٥٥. بِـأَنْ لَا يَـزَلْ رَطْـبًا لِسَـانُكَ هٰـذِهِ   تُعِـينُ عَلَـىٰ كُـلِّ الْأُمُـورِ وَتُسْـعِدُ
٥٦. وَأَخْبَـرَ أَنَّ الـذِّكْرَ غَـرْسٌ لِأَهْلِـهِ   بِجَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَالمَسَـاكِنُ تُمْهَـدُ
٥٧. وَأَخْبَـرَ أَنَّ اللهَ يَـذْكُرُ عَبْـدَهُ   وَمَعْـهُ عَلَـىٰ كُـلِّ الْأُمُـورِ يُسَـدِّدُ
٥٨. وَأَخْبَـرَ أَنَّ الـذِّكْرَ يَبْقَـىٰ بِجَنَّـةٍ   وَيَنْقَطِـعُ التَّكْلِيـفُ حِـينَ يُخَلَّـدُوا
٥٩. وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي ذِكْـرِهِ غَيْـرَ أَنَّـهُ   طَرِيـقٌ إِلَـىٰ حُـبِّ الْإِلَـهِ وَمُرْشِـدُ
٦٠. وَيَنْهَـىٰ الفَتَـىٰ عَـنْ غِيبَـةٍ وَنَمِيمَـةٍ   وَعَـنْ كُـلِّ قَـوْلٍ لِلدِّيَانَـةِ مُفْسِـدُ
٦١. لَكَـانَ لَنَـا حَـظٌّ عَظِـيمٌ وَرَغْبَـةٌ   بِكَثْـرَةِ ذِكْـرِ اللهِ نِعْـمَ المُوَحِّـدُ
٦٢. وَلَكِنَّنَـا مِـنْ جَهْلِنَـا قَـلَّ ذِكْرُنَـا   كَمَـا قَـلَّ مِنَّـا لِلْإِلَـهِ التَّعَبُّـدُ
٦٣. وَسَـلْ رَبَّـكَ التَّوْفِيـقَ وَالفَـوْزَ دَائِـمًا   فَمَـا خَـابَ عَبْـدٌ لِلْمُهَـيْمِنِ يَقْصِـدُ
٦٤. وَصَـلِّ إِلٰهِـي مَـعْ سَـلَامٍ وَرَحْمَـةٍ   عَلَـىٰ خَيْـرِ مَـنْ قَـدْ كَـانَ لِلْخَلْـقِ يُرْشِـدُ
٦٥. وَآلٍ وَأَصْـحَابٍ وَمَـنْ كَـانَ تَابِـعًا   صَـلَاةً وَتَسْـلِيمًا يَـدُومُ وَيَخْلُـدُ

هذه المنظومة العظيمة التي نظمها الإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله رحمة واسعة تنظم أهم الأمور في العقيدة والأخلاق، وقبل الشروع في شرحها، لابد من تعريف مصطلحين مهمين وهما:

أولاً: العقيدة: وهي من الفعل: «عقد، فيقال: عَقَدْتُ الحبل عَقْداً، فانْعَقَدَ ... وتَعَقَّدَ السَّحابُ: إذا صار كأنه عَقْد مَضْرُوبٌ مَبْنِيّ»[١].

«ومنه عقد اليمين: أكدها، بقصد توثيقها وعزم علىٰ البر بها، وعقد العسل: غلاه حتىٰ غلظ، وعقد الأمر: جعله صعباً، وعقد الكلام: جعله صعب الفهم، وعماه.[٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعقد علىٰ ضربين: حسي كعقد الحبل، وحكمي كعقد البيع، واليمين والعهد.

(١) العين (١/ ١٤٠)

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٢٧).

قال الشاعر الحطيئة(١):

قوم إذا عقــدوا عقـــدا لجارهـــم شدوا العناج وشــدوا فوقه الكــربا (٢)

والمراد هنا: العقد الحسي الذي يعقد الإنسان نيته وقصد علىٰ إمضائه. فمن هذه التعريفات اللغوية نستنتج أن العقيدة هي الصلابة والشدة والعزم، وهي ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه ويعقد العزم علىٰ العمل به ظاهراً وباطنـاً، ويراه صحيحـاً سواء أكان صحيحـاً في حقيقة الأمر أم باطلاً». (٣)

أي أنها: «الحكم الَّذِي لَا يقبل الشَّك فِيهِ لَدَىٰ معتقده»(٤).

أما العقيدة الإسلامية، فهي كل ما جاء الأمر بـه مـن الله في كتابه

(١) جرول بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب أبو مليكة العبسي، المعروف بالحطيئة. تاريخ دمشق (٦/ ٢٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٨٢).

(٣) فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام (١/ ١٣٠) بتصرف يسير.

(٤) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤).

أو سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتوحيد نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمتابعة وذلك بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر و اجتناب ما نهىٰ عنه و زجر و ألا يعبد الله إلا بما شرع، وهي: «جِماع الأمر ومِلاكه، فليس يسبق العقيدة شيء في منهج الدين، وليس يقوم مقام التوحيد شيء في سلوك التديّن، وصلاح القلب والعمل.

وما من نبي ولا رسول إِلا كانت العقيدة عمادَ دعوته، وأول أمره، وباكورة منهجه» [1].

والمصطلح الثاني الأخلاق: والأخلاق (جمع): مفرده خُلُق: وهو مجموعة صفات نفسية وأعمال الإنسان التي توصف بالحسن أو القبح» [2].

---

(١) مجمل اعتقاد أئمة السلف (ص: ٢٢).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٨٨).

منها ما يكون جبلة يُخْلق عليه الإنسان، ومنها ما هو مكتسب يكتسبه من الالتزام بآداب الشرع ومرافقة الصالحين.

وفي مختار الصحاح[١] أن «(الْخُلْقُ): بسكون اللام وضمها، هي: السجية، وفلان (يتخلق) بغير خلقه أي: يتكلفه»: أي: أنه يظهر من الأخلاق خلاف الخُلق الذي جُبل عليه مما يتكلفه وليس من خلقه.

وهذا في الأخلاق بتعريفها العام الذي يشمل الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، وما يهمنا في هذا المقام الأخلاق الحسنة التي حث عليها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المنظومة المباركة، وهي المبنية على نصوص الشرع.

يقول الغزالي: «الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال

---

(١) (ص: ٩٦).

الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير، وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعًا؛ فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاثة حتىٰ صار ذا فضيلة طبعًا واعتياداً وتعلمًا، فهو في غاية الفضيلة» (١).

والدليل علىٰ أن من الأخلاق ما يجبل عليه المرء حديث الأشج بن عبدالقيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**» (٢) وفي رواية ابن حبان: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ: «**الْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ**»، قَالَ: شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْءٌ أَتَخَلَّقُهُ؟ قَالَ: «**لَا بَلْ جُبِلْتَ عَلَيْهِ**»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ (٣).

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١/ ٤٨/ رقمه٢٥ - (١٧).

(٣) رواه ابن حبان (١٦/ ١٧٩).

وقد تكون مكتسبة والشريعة الإسلامية هي التي تربي نفس الإنسان علىٰ الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة حتىٰ تتعودها النفس وتصبح لها طبعًا وسليقة كما في أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[(١)].

وغاية الأخلاق الحسنة تحقيق سعادة الفرد في الدارين.

وهذه المنظومة تناولت العقيدة الإسلامية الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة والأخلاق الطيبة الحسنة المبنية علىٰ ما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه المصطفىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسار عليه السلف الصالح من الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم المعاد، حيث قال الناظم:

---

(١) رواه أحمد (١٤/ ٥١٢/ رقمه ٨٩٥٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٢)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩١-١٩٢)، وفي «الشعب» (٧٩٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وقال الشيخ الألباني في «السلسة الصحيحة» (١/ ١٢/ برقم٤٥): «صحيح».

مقدمة المنظومة.

١. فَيَا سَائِلاً عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ
٢. تأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ

يصور الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سائلاً يسأل عن أمر عظيم، وهو منهج الحق، وأن هذا السائل يقصد سلوك طريق السلف الصالح ليسعد في الدنيا والآخرة ، وهذا الشخص توافر فيه عدة صفات، وهذه الصفات هي :

أولاً : أن هذا السائل لا يسأل عن أي أمر، وإنما يسأل عن منهج الحق والصواب.

ثانيًا: أن سؤاله هذا ينبع من رغبة أكيدة في سلوك طريق الحق رجاء أن يسعد في الدنيا والآخرة وسعادة الآخرة، هي المقصد الأعظم، قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١).

ثالثـًا: إن هـذا السـائل لديـه قـوة تأمـل وذكـاء وفطنـة، تمكنـه مـن تمييز الحق من الباطل .

رابعـًا: أن يكون تأمله تأمـل مـن يقصـد معرفـة الحـق والصـواب، والعمل به لا من يتنقل في الآراء ويتتبع الأهواء.

و(**منهج**) المنهج هو: الطريق الواضح.

وعبارة (**منهج الحق**) يقصد به طريق الحق وهـو مـا جـاء في الكتـاب والسنة وسار عليه القوم.

(**والقوم**) المقصـود بهـم السـلف الصـالح، محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ومـن سـار علىٰ نهجهـم وسـلك طـريقهم علىٰ مـر العصـور وتعاقب الأزمان.

---

(١) سورة هود: [١٠٥ - ١٠٨].

(تأمل هداك الله) يأمر طالب الحق بالتأمل ويدعو لصاحبه بأن يرزقه الله الهداية التي تكون سبباً في سعادته، قال ابن رجب: «وأما سؤالُ المؤمن من الله الهداية، فإنَّ الهدايةَ نوعان: هداية مجملة: وهي الهدايةُ للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهدايةٌ مفصلة: وهي هدايته إلىٰ معرفة تفاصيلِ أجزاء الإيمان والإسلام ، وإعانتُه علىٰ فعل ذلك ، وهذا يحتاج إليه كلُّ مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أنْ يقرؤوا في كُلِّ ركعةٍ من صلاتهم قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[1] وكان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه بالليلِ: «**اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلىٰ صراط مستقيم**»[2]، ولهذا يُشمت العاطس، فيقال له: (**يرحمك الله**) فيقول:

---

(١) سورة الفاتحة: [٦].

(٢) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه(١/ ٥٣٤/ رقمه٧٧٠).

(**يهديكم الله**)(١) كما جاءت السنة بذلك»(٢).

والمقصود يا من تسأل عن الطريق الواضح الحق الصواب، وهو طريق النبيين وخاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريق أصحابه ومن اتبعهم إلىٰ يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

تأمل منظومتي هذه التي قيدت فيها جوامع الاعتقاد وأصول الأخلاق وهي أهم معالم تلك الطريق، وأهم ما جاء فيه، تأمل المريد للحق المتبع له، ولابد لمن يكون مريداً للحق إذا علمه أن يعمل به، ويطبقه في واقع حياته، ثم يدعو فيها لهذا المتأمل بالهداية إلىٰ سلوك طريق الحق والصواب والسير عليه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: إذا عطس كيف يشمت (٧/ ١٦٢/ رقمه: ٦٢٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٤٢٦).

إقرار أهل الحق بأنواع التوحيد وأولها توحيد الربوبية ثم يعقبه بتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء الصفات.

٣. نُقِــرُّ بِــأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْــرُهُ   إِلَـٰـهٌ عَلَـىٰ الْعَـرْشِ الْعَظِـيمِ مُمجَّـدُ

(**نُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ**) «أقَرَّ بالحق: اعترف به»[1]. أي: نقر نحن أهل السنة والجماعة بأن الله عَزَّوَجَلَّ لا رب غيره ولا معبود سواه، (**إِلَـٰهٌ عَلَىٰ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمجَّدُ**) فيه إشارة إلىٰ أقسام التوحيد الثلاثة؛ الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

توحيد الربوبية هو: توحيد الله بأفعاله، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، فالذي يثبت لله الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فإن ذلك يستلزم أن يثبت له العبادة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فمن خلق ورزق وأحياء وأمات هو المستحق أن تصرف له العبادة، ويجب علىٰ من عرف ذلك صرف عبادته له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وتوحيد الألوهية وهو: توحيد الله بأفعال العباد، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، أي أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عبدالله ووحده لا شريك له، فلا بد أن يكون معتقداً

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٧٩٠).

أنه ربه وخالقه ورازقه إذ لا يعبد إلا من بيده الخير كله وله الأمر كله دقه وجله.

وأمَّا توحيد الأسماء والصفات، فهو إثبات كلِّ ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات علىٰ وجه يليق بجلاله وكماله، دون تكييف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، مع تنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به.

وتوحيد الربوبية أثبته كفار قريش وغيرهم من الكفار ولم ينازع فيه إلا فرعون عليه من الله ما يستحق وأشباهه الملاحدة، قال تعالىٰ: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(١).

وقال تعالىٰ حكاية عن الكفار: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة النازعات: [٢٤].

وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرب» هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة»(٣).

وتوحيد الربوبية لا يكفي بمفرده، فلابد من توحيد الألوهية؛ لأن الله حاج الكفار بعد إقرارهم بتوحيد الربوبية بأنه يجب عليهم توحيد الألوهية والعمل بما يوجبه إقرارهم بالربوبية من إخلاص العبادة لله، فقال تعالىٰ في سورة الزمر: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

---

(١) سورة العنكبوت: [٦١] .

(٢) سورة لقمان: [٢٥].

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ١٤).

مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الكفار يثبتون الخلق لله عَزَّوَجَلَّ ويقولون عن معبوداتهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2] وهي حجة داحضة واهية.

أشار الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا إلىٰ توحيد الألوهية، وهو توحيد الله بأفعال العباد، أي بما يتقرب به العباد إلىٰ ربهم من صلاة وصيام ودعاء وصدقة وغير ذلك من العبادات، فهو الرب المستحق أن يعبد دون سواه.

(عَلَىٰ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمجَّدُ) إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ كما جاءت في نصوص الكتاب والسنة.

ويبدأ بصفة الاستواء، وهي صفة تنازع فيها طوائف ممن

---

(١) [٣٨].

(٢) سورة الزمر: [٣].

ينسبون إلىٰ الإسلام وسلّم الله أهل السنة والجماعة، وهداهم إلىٰ توحيده عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته دون تحريف، و لا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وإن أهل الحق لا يعتبرون الأسماء والصفات من المتشابه، فمعناها معلوم، ولكنهم لا يسألون عن الكيفية، لأن الكيفية مجهولة، فيقولون: كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(١) وكذا بقية الصفات.

ويقولون :طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم .

فيسلكون منهجهم في كل ما جاء في كتاب ربهم عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإثبات أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته.

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج٣/ ص٤٤١/ رقمه٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٥-٥١٦)، والذهبي في العلو للعلي العظيم (ج٢/ ص٩٥٤/ رقمه٣٤٤)، والدرامي في الرد علىٰ الجهمية (ص٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (ج٦/ ص٣٢٦).

والتحريف هو: «تغيير لفظ النص أو معناه» [١].

مثال تغيير اللفظ: تغيير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [٢] من رفع لفظ الجلالة إلىٰ نصبها، فيكون التكليم من موسىٰ لا من الله عَزَّوَجَلَّ.

ومثال تغيير المعنىٰ: تغيير معنىٰ استواء الله علىٰ عرشه من العلو والاستقرار إلىٰ الاستيلاء والملك؛ لينتفي عنه معنىٰ الاستواء الحقيقي.

والتعطيل: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات، إما كليـًا كتعطيل الجهمية، وأما جزئيـًا كتعطيل الأشاعرة الذين لم يثبتوا من صفات الله إلا سبع صفات، مجموعة في قول الناظم:

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذاك السمع والبصر

---

(١) مذكرة علىٰ العقيدة الواسطية (ص٦).

(٢) سورة النساء: [١٦٤].

والتكييف هو: إثبات كيفية الصفة، كأن يقول: استواء الله علىٰ عرشه كيفيته كذا وكذا.

والتمثيل هو: إثبات مماثل له، كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان.

والفرق بين التكييف والتمثيل: أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكرها غير مقيدة به.

كل هذه الأمور الأربعة محرمة، ومنها ما هو كفر أو شرك.

«والواجب في نصوص الأسماء والصفات: إجراؤها علىٰ ظاهرها وإثبات حقيقتها لله علىٰ الوجه اللائق به؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأول: إن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم-.

الوجه الثاني: أن صرفها إلىٰ المجاز قول علىٰ الله بلا علم وهو حرام.

وأسماء الله وصفاته توقيفية.

والتوقيفي: ما توقف إثباته أو نفيه على الكتاب والسنة، بحيث لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل منهما، فليس للعقل في ذلك مجال؛ لأنه شيء وراء ذلك.

وأسماء الله وصفاته من المحكم من وجه ومن المتشابه من وجه، فإن معناها معلوم، ومن المتشابه في كيفيتها؛ لأن كيفيتها لا يعلمها إلا الله، والمحكم ما كان واضحًا وعكسه المتشابه»(١).

(على العرش) العرش هو سقف المخلوقات وهو من أكبر مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات»(٢).

---

(١) مذكرة على العقيدة الواسطية (ص٧-٨).

(٢) البداية والنهاية(١/ ١١).

وقد جاء في ذكر استواء الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه العديد من الآيات والأحاديث، منها:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾(٢).

وغيرها من الآيات.

أما الأحاديث فمنها:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ، أَوْ قَالَ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»(٣).

---

(١) سورة الأعراف:[٥٤].

(٢) سورة طه:[٥].

(٣) رواه البخاري، كتاب:التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
=

والشاهد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ)**.

و في حديث الشفاعة الطويل، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي**...»(١).

والشاهد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ)**.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ -بعد أن ذكر سرر أهل الجنة-: «فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (ج٩/ ص١٦٠/ رقم ٧٥٥٣)، ومسلم، كتاب: التوبة باب: في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه (ج٤/ ص٢١٠٦/ رقم ٢٧٥١).

(١) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (ج٦/ ص٨٤/ رقم ٤٧١٢)، ومسلم: كتاب: إيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها (ج١/ ص١٨٠/ رقم ١٩٤).

ورونقه وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء»[(١)].

وقال عثمان الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالىٰ فوق عرشه، فوق سماواته»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العرش هو ذلك المخلوق العظيم الذي هو فوق جميع المخلوقات، واختصه الله تعالىٰ لنفسه وهو محيط بالكون كله، وقد ورد أن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي الذي وسع السماوات والأرض كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فماذا يكون العرش ؟»[(٣)].

(ممجد) علىٰ وزن مفعّل أي: عباده يمجدونه وهو مستحق التمجيد ومعنىٰ المجد الثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأسماء التمجيد الدالة علىٰ عظمة الممجد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أي: أنه ممجد بأنواع المجد الذي لا حدود له.

---

(١) العلو (١/ ٥٦٢-٥٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (ج١٣ / ص ٣٢٥).

(٣) شرح العقيدة السفارينية (٢٣٥).

٤. وَنَشْـــهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَـــا الَّـــذِي نُخَصِّصُـــهُ بِالحُـــبِّ ذُلًّا وَنُفْـــرِدُ الحـــب والذل.

(وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا) الشهادة في عبارات السلف تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه، وهي لا تكون إلا عن علم.

وأهل السنة والجماعة يشهدون ويعلمون غيرهم ويبينون لهم أن معبودهم المستحق للعبادة، هو الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

.... الَّذِي نُخَصِّصُـــهُ بِالحُـــبِّ ذُلًّا وَنُفْـــرِدُ

أي: معبودنا الذي نخصه بالعبادة، وعبادتنا له بالحب والخوف، والحب والخوف عبادات قلبية لا تصرف إلا لله عَزَّوَجَلَّ فالعبادة تقوم على الحب، والخوف، والرجاء.

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث عرف العبادة بتعريف جامع فقال:

وعبـــادة الـــرحمن غايـــة حبـــه   مـــع ذل عابـــده همـــا قطبـــان
ومـــداره بـــالأمر أمـــر رســـوله   لا بـــالهوىٰ والـــنفس والشـــيطان(١)

يعني أن العبادة تتضمن ثلاثة أمور:

الأول: غاية الحب مع غاية الذل مع العمل.

الثاني: القيام بالطاعات.

الثالـث: أن تكـون هـذه الطاعـة موافقـة لمـا جـاء بـه محمـد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا بد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة.

٥. فلِلَّهِ كُلُّ الْـحَمْدِ وَالْـمَجْدِ وَالثَّنَا   فَمِـنْ أَجْـلِ ذَا كُـلٌّ إِلَـىٰ اللهِ يَقْصُـدُ الثنـــاء على الله
٦. تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَا   وَكُـلُّ جَمِيـعِ الْـخَلْقِ حَقًّـا وَتَحْمَـدُ عَزَّوَجَلَّ بمـا هـــو
٧. تَنَـزَّهَ عَـنْ نِـدٍّ وَكُـفْءٍ مُمَاثِـلٍ   وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الـمُوَحَّدُ أهله.

(**فلِلَّهِ كُلُّ الْـحَمْدِ**) أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ مستحق الحمد بجميع أنواعه وأفراده وكذلك اختص سبحانه باستحقاقه كل المجد والثناء.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٤٣/ رقم ٤١٤-٤١٦).

الحَمْدُ: «نقيض الذَّمّ، يقال: بَلَوته فأحْمَدْتُه أيْ وجَدْتُه حَميداً محمودَ الفِعَال. وحَمِدْتُه على ذلك»[1].

وهو الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وفي حديث الشفاعة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ**»[2]، وحمد الله عَزَّوَجَلَّ من الذكر الذي يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ويجازي صاحبه ببيت في الجنة يسمى بيت الحمد، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟. فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**»[3].

---

(١) العين (ج١/ ص٣٥٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (ج٨/ ص٥٦٤ رقمه: ٧٥١٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ج١/ ص١٨٩/ رقمه: ١٩٤،١٩٣).

(٣) رواه الترمذي، في كتاب: الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب (ج٢/ ص١٣٢/ رقمه: ١٠٢١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني في صحيح =

«(بيت الحمد) أضاف البيت إلىٰ الحمد الذي قاله عند المصيبة؛ لأنه جزاء ذلك الحمد»[١].

(وَالْـمَجْدِ وَالثَّنَا) وتمجيد الله والثناء عليه بما هو أهله من الذكر، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ممجد مستحق للمجد، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾. قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾. قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -...**»[٢] الحديث.

وأرشد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلىٰ حمد الله وتمجيده في قول

سنن الترمذي (١/ ٢٩٨/ رقمه١٠٣٢).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٩٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب:وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها (١/ ٢٩٦/ رقمه٣٩٥).

المصلي بعد الرفع من الركوع: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١).

والفرق بين الحمد والمجد أن المجد صفة المجيد وهو عالي الشأن أي العالي في ذاته وفي صِفَاته.

وَقيل: الْمجِيد الْكَرِيم فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٢) أَي: كريم فِي مَا يعْطىٰ من حكمه وَقيل: فِي مَا يُرْجَىٰ من خَيره وأصل الْمجِيد الْعَظِيم إِلَّا أَنه جرىٰ علىٰ وَجْهَيْن عَظِيم الذات وَعظيم الصفات... ومجدت الله تَعَالَىٰ تمجيداً لعَظمته»(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقوله إذا رفع رأسه من الرفع (١/ ٣٤٧/ رقمه: ٤٧٧).

(٢) سورة البروج: [٢١].

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٨٥) بتصرف.

أما الحمد، فمعناه التبجيل والثناء علىٰ الله بما أنعم علىٰ خلقه من نعمه الظاهرة والباطنة وهو الثَّنَاءُ عليه بما هو أهل له.

قَالَ الأَزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْحَمْدُ قَدْ يَكُونُ شُكْرًا لِلصَّنِيعَةِ وَيَكُونُ ابْتِدَاءً لِلثَّنَاءِ ... فحمدُ اللهِ الثناءُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ شُكْرًا لِنِعَمِهِ الَّتِي شَمِلَتِ الْكُلَّ، وَالْحَمْدُ أَعم مِنَ الشُّكْرِ»[1] .

إذن الفرق بين الحمد والمجد، أن المجد تعظيم لله بما يستحقه من التعظيم لذاته وصفاته، والحمد هو الثناء عليه بما يستحقه علىٰ ما أنعم ويكون ابتداء لذاته وعظيم صفاته.

فالله عَزَّوَجَلَّ هو المستحق للحمد المطلق والتمجيد لكماله.

(**فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلٌّ إِلَىٰ اللهِ يَقْصُدُ**) فمن أجل أنه الرب المستحق للعبادة، وللحمد والمجد والثناء الحسن، من خضعت له كل الرقاب، وعنت له الوجوه، فكل إليه يتوجه ويقصد في حاجته ومسائله.

(١) لسان العرب (٣/ ١٥٥).

٦. تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّما   وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ تسبيح جميع المخلوقات لله ﷻ.

(**تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ**): و«التسبيح: التقديس والتنزيه»(١).

الأملاك: تطلق ويراد بها كل ما خلق الله، فهو مالك الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويراد بها جمع مَلك وهي الملائكة والمقصود-والله أعلم- الملائكة؛ لأنه ذكر بعدها الأرض والسماء وهذه المخلوقات تدخل ضمن جميع الخلق كما ذكر في عجز البيت.

ودليل تسبيح الملائكة، قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

(**وَالْأَرْضُ وَالسَّمَا**) أي: أن الأرض تسبح والسماء تسبح،

(**وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ**) أي: أن كل المخلوقات أيضًا تسبح لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة بلسان الحال والمقال، ولكن لا نفقه

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٦٢).

(٢) سورة الشورىٰ: [٥].

تسبيحهم، ودليل تسبيح الأرض والسموات وجميع المخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ، قوله تعالىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾(١).

وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ تسبيح المخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ.

والتسبيح يكون بلسان المقال حقيقة كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في كتابه وأخبر به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ: «والتحقيق: أن تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور، تسبيح حقيقي؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو جَلَّوَعَلَا ونحن لا نعلمها، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا

---

(١) سورة الإسراء: [٤٤].

(٢) سورة الإسراء: [٤٤].

يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾[(٢)].

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما انتقل عنه بالخطبة إلىٰ المنبر سمع له حنين[(٣)]. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»[(٤)].

وأمثال هذا كثيرة. والقاعدة المقررة عند العلماء أن نصوص الكتاب، والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: [٧٤].

(٢) سورة الأحزاب: [٧٢].

(٣) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٥٣٥/ رقمه: ٣٥٨٣).

(٤) كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢/ رقمه: ٢٢٧٦).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٠٨).

وقال وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسبحن أي يصلين معه إذا صلىٰ. وقيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه»[1].

٧.تَنَـزَّهَ عَـنْ نِـدٍّ وَكُـفْءٍ مُمَاثِـلٍ وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الـمُوَحَّدُ تنزيه الله ﷻ عن الكفء والمثيل والنقصان.

(**تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلٍ**) «تنزه: تباعد عنه وتصوّن»[2].

والمعنىٰ أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تباعد وتصوّن عن أمور أربعة وهي:

١. الند.

٢. الكفء.

٣. المماثل.

٤. أوصاف النقائص والعيوب.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢١٤).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٣).

وهو هنا يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، وأنهم ينزهون الله ويجلونه عن الأنداد والأكفاء والمثيل ومشابهة خلقه، وقاعدة ذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) فلا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته ولا في صفاته، وهو المستحق للعبادة؛ لذا جاء النهي عن اتخاذ الأنداد له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أول نهي في كتاب الله في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٢) وغيرها من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وثانيا: الكفء الذي نفاه الله عن نفسه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٣).

---

(١) سورة الشورى: [١١].

(٢) سورة البقرة: [٢٢].

(٣) سورة الإخلاص: [١- ٤].

ثالثـًا: عن المماثل الذي نفاه الله -تعالىٰ- في قوله تعـالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1].

رابعـًا: عن صفات المخلوقين الذين يعتريهم النقص والضعف، وإن أهـل السـنة ينـزهون الله عـن وصـف المعطلـة لله عَزَّوَجَلَّ الـذين يصفونه بالعدم أومن المشبهة الـذين يمثلونـه بـالخلق، فالمعطـل يعبـد عدمـًا والمشبه يعبد صنمـًا، وأهل السنة يعبـدون الواحـد الأحـد الـذي تفرد بصفات الكمال والجلال.

٨. **وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ**

إثبات أهل السنة لجميع صفات الله سبحانه وتعالى.

(**وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا**) نثبـت نحـن أهـل السـنة والجماعة جميع أخبار الصفات، لا نستثني منها شيئـًا، وإثباتنا لهـا بـلا تحريف ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه الأكبر: «لا يشبه شيئـًا مـن خلقـه

(١) سورة الشورىٰ: [١١].

ولا يشبهه شيء من خلقه»[(١)].

وقال في موضع آخر: «وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرىٰ لا كرؤيتنا»[(٢)].

وقال نعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه، فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهـًا»[(٣)].

وقال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم»[(٤)].

---

(١) (ص٢٤).

(٢) الفقه الأكبر (ص٤٩-٥٠).

(٣) العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها (ج٢/ ص١٠٩٣/ رقمه: ٤٢٩)، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو للعلي الغفار (ص١٨٤/ ص٢١٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم (ج٣/ ص٢٩٠/ رقمه٩٣٧).

(وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ) ونبرأ من التأويل لصفات الله التي يسلكها من يجحد تلك الصفات، فلله صفات الكمال المطلق، وللإنسان صفات تناسب حاله وضعفه، والكلام عندهم عن الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويقولون: إن صفات الله حقيقية كما أخبر بها في كتابه أو أخبر بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أن أفعاله حقيقية، فهو -سبحانه- يغضب ويرضىٰ ولكن ليس غضبه -سبحانه- كغضب المخلوق ولا رضاه كرضا المخلوق، ويثبتون أن الله يسمع وأنه يبصر ويقولون: ليس سمعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كسمع المخلوق ولا بصره كبصر المخلوق وذلك؛ لأنه يوجد فرق كبير بين ما يثبت للخالق وما يثبت للمخلوق، فسمع المخلوق مثلاً لا يدرك إلا الأصوات القريبة، وتشتبه عليه الأصوات إذا تكلم عنده أكثر من واحد في آن واحد، وأما سمع الخالق، فإنه يدرك القريب والبعيد ولا تختلط عليه الأصوات في كثرتها وتعدد طلبات أصحابها وتنوع لغاتهم ولو اجتمع جميع الخلق في مكان واحد وكل سأل الله عَزَّوَجَلَّ حاجته ما خفيت عليه الحاجات ولا اختلطت عليه الطلبات.

وبصـر المخلـوق لا يخـرق الحيطـان ونحوهـا، ولا يبصـر في الظلمات، والخالق -تعالىٰ- يبصر كل شيء ولا يخفىٰ عليه شيء، فيبصر النملة الصغيرة في حيالك الظُلَمْ، فأين هذا من هذا؟ .

ويـردون علـىٰ المشـبهة الـذين يقولـون: إذا قلـتم: إن الله علـىٰ العرش فأنتم مشبهة، وإذا قلتم إن الله ينـزل كما يشاء، فأنتم مشبهة، وإذا أثبتم أن الله له سمع وله بصر فأنتم مشبهة.

أن أهـل السـنة والجماعـة حين يثبتـون أن الله علىٰ العـرش وأنـه ينزل كما يشاء وأن له سمع وبصر ، فهذه الصفات وغيرهـا مـن صـفاته سبحانه وتعالىٰ تليق به؛ وفرق بـين صـفات الله الكاملـة مـن كـل وجـه وصفات المخلوقين التي يعتـريها النقـائص والعيـوب، فكـل لـه صـفة تناسبه، وإلا فإنكم يا أيها المعطلة إذا قلتم: إن للخالق ذاتـًا، تصيرون مشـبهين حسـب عقيـدتكم؛ لأن للمخلـوق ذاتـًا أيضـًا، والكـلام عـن الصفات فرع عن الكلام في الذات.

وهـؤلاء المعطلـة علىٰ دركـات مـنهم مـن ينفـي جميـع الأسـماء

والصفات، وهم غلاة القرامطة -وهم زنادقة كفار- لا يثبتون لله أسماً ولا صفة، فمن أثبتها عندهم يسمىٰ مشبهاً.

والمعتزلة الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ولا يجعلون لله صفات تؤخذ من تلك الأسماء، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة -تعالىٰ الله عن قولهم-.

ويرد علىٰ المعتزلة الذين لا يثبتون شيئاً من الصفات، إن ما أثبتموه من الأسماء ينطبق عليه ما نفيتم الصفات من أجله، فيقال: لهم أنتم تقولون: إن الله سميع بلا سمع، لأن إثبات السمع من صفات المخلوقين، فنقول: إن الإنسان سميع أيضاً، فما الفارق بين سميع وسميع، فإن قلتم: إن الله سميع، ولكن ليس مثل تسميت الإنسان بأنه سميع، فنقول: هذا عينه يقال في إثبات الصفة، فإنه -سبحانه- له سمع ليس مثل سمع المخلوق!!. ويقال لهم: المخلوق أيضاً يسمىٰ حياً، ويسمىٰ قديراً، ويسمىٰ عليماً، فقد أثبتم أسماء موجودة في المخلوق، فإذا أثبتم الأسماء لزمكم إثبات الصفات فلا فرق.

فإن قالوا: إننا نثبتها على أنها أسماء ينادى بها الرب -تعالى- قلنا: المخلوق ينادى بها، فإذا كان لا يلزم التشبيه مع كونها ثابتة للمخلوق، فلماذا لا تثبتون الصفات وتجعلونها مناسبة للموصوف»[1].

عدم تقديم العقل على ما جاء عن النبي ﷺ من الشرع.

٩. فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ فَسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ

(**فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ**) أي: أن العقل أضعف من أن يطيق حقيقة صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لضعف العقل عن معرفة عظمة تلك الصفات كما هي.

(**فسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ**) فسلم يا أيها السائل عن منهج الحق لما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الآيات وما صح عنه من الأحاديث التي تثبت الأسماء والصفات لله من غير أن تدخل عقلك فيما لا يطيق معرفة حقيقته، فإن ذلك حري بأن يجعلك تضل الطريق وتفقد الصواب.

---

(١) الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية (ج١/ ص٣٢١-٣٢٣) بتصرف يسير.

وقد روىٰ أبو القاسم اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن محمد بن الحسن -صاحب أبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلىٰ المغرب علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفة الرب عَزَّ وَجَلَّ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا»[(١)].

وروىٰ حرملة بن يحيىٰ[(٢)] قال سمعت عبدالله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: من وصف شيئًا من ذات الله مثل قوله، وقالت: اليهود يد الله مغلولة، وأشار بيده إلىٰ عنقه، ومثل قوله وهو السميع البصير، فأشار إلىٰ عينيه أو أذنه أو شيئًا من بدنه قطع ذلك منه، لأنه شبه الله بنفسه.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج٣/ ص٢٣٣).

(٢) حرملة بن يحيىٰ صدوق. تقريب التهذيب (١٦١/ ت١٢٩٧).

ثم قال مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا يضحىٰ بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده كما أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده. قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكره البراء أن يصف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجلالاً له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء»[1].

بعض أسماء الله ﷻ.

١٠. هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظْمِ صِفَاتِهِ وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ للهِ يَصْمُدُ
١١. عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالوَرَىٰ مُتَوَدِّدُ

أورد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بعض أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الدالة علىٰ صفاته العظيمة.

معنى اسم الله الصمد.

فالاسم الأول:(الصَّمَدُ): وهو الكامل في صفاته الذي تفتقر إليه

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٦)، والفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٦/ ٤١٦)، والشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٥٨٩)، وإمتاع الأسماع (١٤/ ٤١٠).

جميع مخلوقاته، وهذا أجمع ما قيل في هذا الاسم، ويدل على معناه قول الناظم بعده:

(وَكُلُّ جَمِيعِ الْـخَلْقِ للهِ يَصْـمُدُ) أي: أن صفاته عظيمة، وكل الخلق يفتقر إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(١).

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «(الصمد): السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له»(٢).

الاسم الثاني: (العَلِي) حيث قال الناظم:

اسم الله العلي وصفة العلو والقرب لله عَزَّوَجَلَّ.

عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ ... قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالوَرَىٰ مُتَوَدِّدُ

---

(١) سورة الإخلاص: [١ – ٤].

(٢) جامع البيان (ج٢٤/ ص ٦٩٢).

أي: الذي علا في ذاته ، وقدره وقهره، فالله علي في ذاته، علي في صفاته، عليٌ في قدره، عليٌ في قهره، ومع علوه، فهو قريب مجيب لدعاء من دعاه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[(١)].

«وعلو الذات : أنه مستو علىٰ عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع علىٰ أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر، فهو علو صفاته، وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[(٢)]. وبذلك

(١) سورة البقرة: [١٨٦].

(٢) سورة طه:[١١٠].

يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته وله علو القهر، فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

فهو الذي على العرش استوى وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء، والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى» [1].

فالمقصود **بالورى**: الخلق[2]، متودد إليهم بالخير والعافية في دينهم ودنياهم.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٦٨).

(٢) المعجم الوسيط (ج٢/ ص١٠٣٩).

١٢. هُوَ الْـحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الْجُودِ وَالْغِنَىٰ وَكُلُّ صِفَاتِ الْـحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ

صفات الحي والقيوم والجواد والغني.

(هُوَ الْـحَيُّ وَالْقَيُّومُ) كامل الحياة الذي لا يموت، فحياته كاملة لم يسبقها عدم ولا يلحقها موت وعدم، فيلزم من إثبات الاسم إثبات الصفة اللازمة لهذا الاسم، ثم عطف بقوله: والقيوم هذا من أسمائه ومن صفاته جَلَّوَعَلَا فمن أسمائه القيوم، ومن أوصافه القيومية، ومعنىٰ القيوم أنه عَزَّوَجَلَّ قائم بنفسه، فلا حاجة به إلىٰ خلقه، وهو جَلَّوَعَلَا مقيم لخلقه، فكل أحد محتاج إليه، واسما الحي والقيوم جاءت في أعظم آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كما أخبر بذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهي آية الكرسي[1] قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2].

و في أول سورة آل عمران قال تعالىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾[3]. وغيرها من الآيات.

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ (١/ ٥٥٦/ رقمه: ٨١٠).

(٢) سورة البقرة: [٢٥٥].

(٣) [٢].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ**»(١).

قال أبو جعفر في معنىٰ الحي: «ومعنىٰ ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفىٰ عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه، من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب علىٰ خلقه العبادة والألوهة والحي الذي لا يموت، ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربـًا، ويبيد كل من ادعىٰ من دونه إلهـًا، واحتج علىٰ خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنىٰ، فلا يكون إلها يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد، ولا يفنىٰ وذلك الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار (٢/ ٣٨٢/ رقمه: ١٥١٢)، والترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في الدعاء (٤/ ٤٠٦/ رقم ٣٥٧٦)، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٢/ برقم١٦٢٢).

ومعنىٰ القيوم: القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص وأن ذلك وصف من الله تعالىٰ ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء، في رزقه والدفع عنه، وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته » [(١)].

فمن قيوميته أن كل مخلوقاته لا تقوم إلا بإقامته جَلَّوَعَلَا لها فهو المقيم لكل مخلوقاته، فالسماوات والأرض ومن فيهن إنما تقوم بإقامة الله عَزَّوَجَلَّ لها، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾[(٢)] يعني: لا يمسكهما أحد من بعده إن رفع إمساكه لهما.

لذلك كان اسم الحي واسم القيوم يرجع إليهما جميع معاني أسماء الله وصفاته، فالحياة تستلزم كل وصف كمال من أوصاف الذات، والقيومية تستلزم كل وصف كمال من أوصاف الفعل؛

---

(١) جامع البيان (ج٦/ ص١٥٨).

(٢) سورة فاطر: [٤١].

ولذلك قيل: إن الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الله أجاب، هو الحي القيوم، وهذا من أسباب كون آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لكونها احتوت على هذين الاسمين اللذين إليهما ترجع أوصاف الكمال وأسماء الله الحسنى.

وهناك أقوال لأهل العلم في تعيين اسم الله الأعظم، منهم من رجح أن الاسم الأعظم هو الله؛ لأنه الاسم الذي لا يتسمى به غيره ولأنه الأصل الذي ترجع إليه جميع الأسماء، وقال بعضهم: لا يجوز التفضيل وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم وأن أسماء الله كلها عظيمة أو أن المراد به كثرة الدعاء وذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١) أن ما وقف عليه في ذلك أربعة عشر قولاً. وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢) : «اختلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً، وقد أفردها السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتصنيف (٣).

---

(١) فتح الْبَارِي (ج ١١/ ص٢٢٤-٢٢٥).

(٢) تحفة الذَّاكِرِينَ ص(٧٩).

(٣) لم أقف على هذا الكتاب.

وقال: وعندي أن الاسم الأعظم لا إله إلا هو الحي القيوم»، وذكر ابن القيم أنه الحي القيوم، فينظر في وجه ذلك [١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولـه الحيـاة كمالهـا فلأجـل ذا ... مـا للممـات عليـه مـن سـلطان

وكـذلك القيـوم مـن أوصـافه ... مـا للمنـام لديـه مـن غشـيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ... ثبتت لـه ومدارها الوصفـان[٢]

قال: (**ومدارها الوصفان**) أي: أن جميع صفات الكمال ترجع إلىٰ هذين المعنيين: أنه الحي القيوم، وهذا هو السر في كون هذين الاسمين يمثلان الاسم الأعظم لله جَلَّوَعَلَا.

(**ذو الجود والغنىٰ**) الذي يتفضل علىٰ عباده بما يحتاجون إليه، الغني عما في أيديهم المحتاجون إلىٰ ما في يده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وليس له

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١ / ٣٦).

حاجة إليهم، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[1].

(وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ) الحمد هو: الثناء الحسن، فكل ثناء حسن يسند إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فأسمائه حسنىٰ وصفاته علا، فكل أسماء الله عظيمة، وكل صفاته عظيمة تليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إحاطة الله ﷻ بجميع مخلوقاته.

١٣. أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمـًا وَقُدْرَةً وَبِـرًّا وَإِحْسَـانًا فَإِيَّـاهُ نَعْبُـدُ

(أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمـًا وَقُدْرَةً): الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أحاط بكل شيء علمـًا وقدرة، قال تعالىٰ: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[2].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾[3].

---

(١) سورة فاطر: [١٥].

(٢) سورة الطلاق: [١٢].

(٣) سورة طه: [١١٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (١).

ومن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المحيط، ومعناه الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة وقهراً.

(وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ) وكذلك أحاط جميع خلقه ببره وإحسانه، فهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢) .

فهذه الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أخبر بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي من توحيد الله الذي قامت عليه دعوة جميع الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وهي طريقة السالكون علىٰ نهج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يوم القيامة، فمن سار علىٰ نهج أهل السنة في النفي والإثبات وعلىٰ طريقة الرسل، فلا يخشىٰ من الملام، ولا يرد عليه الكلام.

---

(١) سورة البقرة: [٢٥٥].

(٢) سورة الأعراف: [١٥٦].

(وبراً وإحسانًا) فكل بر وإحسان في الخلق، فهو منه عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي شمل بره وإحسانه كل المخلوقات، إنسها وجنها، حيوانها وجمادها، ماضيها وحاضرها، برها وفاجرها، وهو المستحق للعبادة، **(فإياه نعبد)** فنوحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

١٤. وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِمِ كُلَّهَا   وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ

إثبات السمع والبصر لله ﷻ.

يذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفتان من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وهما البصر والسمع .

السمع هو: إدراك الأصوات.

والبصر هو: إدراك المبصَرات، ويُطلق عليه أيضًا الرؤية كما في قول الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1] فأثبت لنفسه أنه يرىٰ.

وقد وصف نفسه بالسمع والبصر في قوله تعالىٰ: ﴿ قَدۡ

(١) سورة طه: [٤٦].

سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[1] فجمع بين السمع والبصر في هذه الآية وغيرها من الآيات.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مستترًا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر كثير شحوم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، قرشي وختناه[2] ثقفيان أو ثقفي وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه. فقال الآخر: إن سمع منه شيئًا سمعه كله فقال عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فذكرت ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا

---

(١) سورة المجادلة: [١].

(٢) الختن: الصهر، وهو الرجل المتزوج في القوم، وهو زوج فتاة القوم. العين (ج١/ ص٣٨٨)، واللسان (ج١٣/ ص١٦٦).

تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (١) (٢).

فأهل السنة والجماعة يصفون الله -تعالىٰ- بأنه يبصر، وأنه لا يستر بصرَه حجاب، ولا يحجزه مخلوق عن أن يبصر ما وراءه، فينفذ بصره في جميع المبصَرات، ولا يحتجب شيء عنه من المخلوقات، وأنه يسمع لا تشتبه عليه اللغات، ولا تغالطه كثرة المسائل مع اختلاف اللغات، وتفنن المسئولات، قد استوىٰ في سمعه الصوت الخافت مع الصوت العالي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾(٣) .

---

(١) سورة فصلت: [٢٣].

(٢) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (ج٦/ ص٣٣٨/ رقمه: ٤٨١٧)، ومسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم (ج٤/ ص٢١٤١/ رقمه ٢٧٧٥).

(٣) سورة الرعد: [١٠-١١].

الذي وسع علمه وقدرته كل شيء حتىٰ ما يختلج في الصدور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(١).

١٥. لَهُ الْـمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْـمُحِيطُ بِمُلْكِهِ وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَىٰ بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ

صفة الملك المطلق لله سبحانه وتعالى.

(**لَهُ الْـمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْـمُحِيطُ بِمُلْكِهِ**) فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الملك العظيم وله الثناء الحسن اللائق به، كما قال عن نفسه ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

فهو مالك الملك المستحق للحمد؛ لكمال صفاته وعلو ذاته وقدرته، قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾(٣).

فأمر الله بحمده لكماله المقدس ولانتفاء صفات النقص عنه، ومنها اتخاذ الولد، ونفيه عنه الولد يتضمن كمال غناه.

---

(١) سورة الملك: [١٣].

(٢) سورة الملك: [١] .

(٣) سورة الإسراء: [١١١].

(وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَىٰ بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ) الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب له، وكمال الله وحكمته العظيمة يشهد بها كل الخلق، هو محيط بعلمه كل ما في الكون، حكيم في خلقه وتدبيره، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون؛ لأنه حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ لم يكن ظالماً لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، فإنهم ما عملوا ولا آمنوا ولا اتقوا إلا بفضله.

قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غيرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَىٰ غيرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**»(١).

---

(١) رواه ابن ماجه كتاب: الإيمان، باب: في القدر (ج١/ ص٢٩/ رقمه: ٧٧)، وأحمد =

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع[(١)]

فالله مستغني عن خلقه، مع فقرهم وحاجتهم إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحكمته ظاهرة لكل خلقه وإن جحدها من أظلم قلبه بالمعاصي والذنوب، وكابر الحق، وهؤلاء وصفهم الله أنهم ينكرون الحق ولو استيقنته أنفسهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[(٢)].

١٦. وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَىٰ كَمَا قَالَهُ الْـمَبْعُوثُ بِالحَقِّ أَحْمَدُ

إثبات صفة النزول لله ﷻ بما يليق بجلاله.

(ونشهد) أي: نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل في ثلث الليل الآخر نزولاً يليق بجلاله.

(٣٥/ ٤٦٥/ ٢١٥٨٩)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ١٠٩/ ٢٤٥)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٥٠٥/ رقمه: ٦١٩)، وقال الألباني: «صحيح لغيره»، صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٥/ رقمه: ٢٤٣٨).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٦١).

(٢) سورة النمل: [١٤].

ومعنىٰ النزول عند أهل السنة: أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولاً حقيقياً يليق بجلاله، ولا يعلم كيفيته إلا هو.

ومعناه عند المعطلة نزول أمره. ويرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف.

الوجه الثاني: أن أمر الله ينزل كل وقت وليس خاصاً بثلث الليل الآخر.

الوجه الثالث: أن الأمر لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له.

ونزوله سبحانه إلىٰ السماء الدنيا لا ينافي علوه؛ لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يقاس نزوله بنزول مخلوقاته.

(**كَمَا قَالَهُ الْـمَبْعُوثُ بِالحَقِّ أَحْمَدُ**) وأن نزوله كما جاء في الحديث، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي،**

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

وأحمد من أسمائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سماه الله به **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾(٢).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَىٰ بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»**(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل (ج٢/ ص٣٤٧/ رقمه: ١١٤٥)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (ج١/ ص٥٢١/ رقمه: ٧٥٨).

(٢) سورة الصف: [٦].

(٣) رواه مسلم، كتاب: المناقب، باب: في أسمائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج٤/ ص١٨٢٨/ رقم١٢٤-٢٣٥٤).

١٧. **وَنَشْـــهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَـــلَ رُسْـــلَهُ   بِآيَاتِـهِ لِلْخَلْـقِ تَهْـدِي وَتُرْشِـدُ** إيمان أهل السنة بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

(**وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ**) ونشهد نحن أهل السنة والجماعة شهادة حق بأن الله أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، فجعلهم حجة علىٰ الناس، يرشدون إلىٰ دينه القويم وصراطه المستقيم، ودعاة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**بِآيَاتِـهِ لِلْخَلْـقِ تَهْـدِي وَتُرْشِـدُ**) أيد الله تلك الرسل وزودهم بالآيات التي تعجز أقوامهم وتكون سببًا لهدايتهم إلىٰ عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وهي هداية الدلالة والإرشاد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾[2]، أما هداية التوفيق والإلهام، فهي بيد الله

---

(١) سورة النساء: [١٦٥].

(٢) سورة الشورىٰ: [٥٢].

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] .

١٨. وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ الْـمُوَحَّدُ محمد ﷺ أفضل الأنبياء والرسل.

١٩. فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا نَبِيُّ الهُدَىٰ وَالعَالَـمِينَ مُحَمَّدُ

(وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ) دل القرآن الكريم علىٰ المفاضلة بين الرسل عليهم السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الرُّسُلِ عَلَىٰ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ

---

(١) سورة القصص: [٥٦].

(٢) سورة البقرة: [٢٥٣].

(٣) سورة الإسراء: [٥٥].

زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ (١)، وَقَـالَ هَاهُنَـا: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ يَعْنِي: مُوسَىٰ وَمُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ آدَمَ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ حِينَ رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنبياء في السموات(٢) بِحَسْبِ تَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الثَّابِتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُهُ: لا والذي اصطفىٰ موسىٰ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ. فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ فَلَطَمَ بِهَا وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ: أَيْ خَبِيثُ وَعَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَجَاءَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ

(١) سورة الإسراء: [٥٥].

(٢) رواه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج (٤/ ٦٢٨/ رقم٣٨٨)، ومسلم، كتاب: الإسراء وفرض الصلوات (١/ ١٤٥/ رقم١٦٢).

رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَكَىٰ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَىٰ بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟ فَلَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ**»(١). وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**» (٢).

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي

---

(١) رواه البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء باب: وفاة موسىٰ وَذِكْرِهِ بَعْدُ، برقم (٣٤٠٨)، ومسلم كتاب: الفضائل باب: فضائل موسىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم (٢٣٧٣)، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري، بَابُ: مَا يُذْكَرُ فِي الأشخاص وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ (٣/ ١٢٤/ رقمه: ٢٤١١)، ومسلم، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ مُوسَىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤/ ١٨٤٤/ رقمه: ٢٣٧٣).

تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به»(١).

وزاد النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواب سادس وهو: «أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرىٰ، ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾(٢)»(٣).

فأفضل الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أفضل الخليقة جمعاء؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٠-٦٧١).

(٢) سورة البقرة: [٢٥٣].

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (ج١٥/ ص٣٠-٣١).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جميع =

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»(١) الحديث.

«قال العلماء وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم**» لم يقله فخراً؛ بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور «**أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلَا فَخْرَ**» وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾(٢).

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلىٰ أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما تقتضي مرتبته

الخلائق برقم (٢٢٧٨).

(١) رواه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل (ج٤/ ص١٥٩/ رقمه: ٣١٤٨)، وأحمد (ج٤/ ص٣٣٠/ رقمه: ٢٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ج٣/ ٧٠/ رقمه: ٢٥١٦).

(٢) سورة الضحىٰ: [١١].

كما أمرهم الله تعالىٰ، وهذا الحديث دليل لتفضيله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الآدميين وغيرهم»(١).

(نَبِيُّ الهُدَىٰ) أي: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالهدىٰ من الله، وهو الكتاب والسنة، وهذا الهدىٰ ليس خاصـًا بأمة دون غيرها؛ بل عامـًا للأنس والجن كما أشار الناظم: **(وَالعَالَمِينَ مُحَمَّدُ)** فيه إشارة إلىٰ عموم رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن عبدالله هو نبي الهدىٰ المبعوث إلىٰ الثقلين الجن والأنس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

(١) شرح النووي (ج١٥/ ص٣٠-٣١).

(٢) سورة سبأ: [٢٨].

(٣) سورة الأنعام: [٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٤].

يقول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلىٰ هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذَّبك **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** أن الله

---

(١) سورة الأنبياء: [١٠٧].

(٢) سورة الفرقان: [١].

(٣) سورة ص: [٨٦ – ٨٧].

(٤) سورة القلم: [٥٢].

أرسلك كذلك إلىٰ جميع البشر»[١].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»[٢].

فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٠. وَخَصَّ لَهُ الرَّحمٰنُ أَصْحَابَهُ الأُلَىٰ أَقَامُوا الْهُدَىٰ وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا

يشير الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا إلىٰ مسألة عظيمة عند أهل السنة، وهي:الحب والولاء لأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَخَصَّ لَهُ الرَّحمٰنُ أَصْحَابَهُ الأُلَىٰ**) أي: أن الله اصطفاهم علىٰ غيرهم، لأنهم (**أَقَامُوا الْهُدَىٰ وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا**) أي:

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٣٧٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: التَّيَمُّمِ (١/ ١٠٩/ رقمه: ٣٣٥)، ومسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ (١/ ٣٧٠/ رقمه: ٥٢١).

أقاموا الشرع والدين الذي جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاهدوا في سبيل إقامة الدين والشرع بالنفس والمال، ولم يبخلوا بشيء فيه إقامة للدين وتهيئةً له حتىٰ يسهل علىٰ من جاء بعدهم الاستمرار عليه، وأهل السنة والجماعة يعتقدون عدالة الصحابة جميعهم، وتَفضيل الخلفاء الأربعة الراشدين: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وخَيرية القرون الأولىٰ، لأنهم نقلوا الدين، وعدالة الصحابة ثابتة معلومة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم

(١) سورة آل عمران: [١١٠].

(٢) سورة البقرة: [١٤٣].

﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾(١) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢)، وغيرها من الآيات.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيدُ الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفة

---

(١) سورة الفتح: [٢٩].

(٢) سورة التوبة: [١٠٠].

المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم. وأما أهل السنة؛ فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون»[(١)].

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة، وأحسن الثناء عليهم فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى:

قوله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ أَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ وَيَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا**»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٣).

(٢) رواه الطيالسي (١/ ٢٣٩/ رقمه: ٢٩٩).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أحداً منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»(٢).

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة

---

(١) رواه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ (ج٤/ ١٩٦٧/ رقمه: ٢٥٤٠).

(٢) انظر رسالة السنة (ص٧٧- ٧٨).

بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾»[١].

وقال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفق أهل السنة علىٰ أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة من المبتدعة»[٢].

قال أبو زرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدىٰ إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرحهم، إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلال والكذب والفساد هو الأقوم الأحق»[٣].

---

(١) انظر الكفاية في علم الرواية (ص٩٣).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٩).

(٣) انظر: الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة (ص٢٠٨- ٢١١).

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» (١).

وأن الله اصطفاهم لصحبة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحمل شرعه إلىٰ الأمة، فإن القَدح في هذه العدالة ، ذريعة إِلىٰ رد آياتٍ قرآنية، وكثير من الأحاديث الصحيحة التي أَخبرت بفضل الصحابة وعدالتهم، بل ذريعة إلىٰ رد الشرع بكامله لأنهم هم الذين حملوا الشرع إلينا، وأنه يجب حبهم وذكر فضائلهم وتربية الناشئة علىٰ حبهم .

وجوب حب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٢١. فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحَقِّ فَرْضٌ مُؤَكَّدُ

وهذا منهجُ أهلِ الحق، أهل السنة والجماعة: حب الصحابة، وآل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عندهم من الإيمان، وهو فرض مؤكد؛ لأن الإيمان عندهم: قول باللسان وتصديق بالجنان

---

(١) متن العقيدة الطحاوية (ص٢٣).

وعمل بالأركان، فحبهم يكون بالقلبِ وسلامةِ الصدرِ تجاههم وحسنِ ذكرهم والثناءِ عليهم، وقرن ذلك بإظهارِ ما يدل علىٰ حبِهم من العملِ بالشرعِ الذي حملوه عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوصلوه إلينا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١).

٢٢. وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَىٰ جَمِيعًا مُجَوَّدُ — القرآن كلام الله ﷻ حق.

٢٣. وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّىٰ لِخَلْقِهِ بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ

(**وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ**) وأهل الحق هم أهل السنة والجماعة، المتبعين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**أَنَّ كَلَامَهُ**) المقصود به كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومعتقد أهل السنة أن الله يتكلم متىٰ شاء كيف شاء بما شاء، وبذلك فإن القرآن الكريم هو كلام الله حقيقة.

---

(١) سورة الحشر: [١٠].

(**هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَىٰ جَمِيعًا مُجَوَّد**) أن القرآن الكريم هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ويشمل اللفظ والمعنىٰ، فهو كلامه المتلو والمقروء والمحفوظ والمسموع حقيقة لا حكاية وعبارة ولا ترجمة.

(**وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**) وهنا يتحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة عظيمة وقع فيها خلاف قديم، وهو القول بخلق القرآن ورد أهل السنة علىٰ المبتدعة الذين أفشوا ذلك ونشروه بين الناس منطلقين من قول الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾(٢) وغيرها من الآيات والأحاديث.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن القرآن كلام الله وسائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق، وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً

(١) سورة النساء: [١٦٤].

(٢) سورة ص: [٢٩].

ومتلواً ومحفوظًا ومسموعًا وملفوظًا كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة. وقد رد هذه البدع الأئمة ومنهم الإمام أحمد»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في ذلك عندنا لا يجوز أن يقول أحد غير قوله[٢]، إذ لم يكن إمام قائم به سواه، وفيه كفاية لكل متبع، وقناعة لكل مقتنع، وهو الإمام المتبع»[٣].

(وَأَنَّىٰ لِخَلْقِهِ بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ) فكلام الله ليس بمخلوق، وهو معجز لا يقدر أحد من الخلق أن يأت بمثله كما تحدىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به الكفار من قريش، أهل البيان والبلاغة الفصاحة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٤].

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (ج ١ / ص٢١٩).

(٢) يقصد الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله رحمة واسعة-.

(٣) صريح السنة لابن جرير الطبري (٣٢).

(٤) سورة البقرة: [٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ ﴾ أي: افترى محمد هذا القرآن؟

فأجابهم بقوله: ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنه قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم

---

(١) سورة الإسراء: [٨٨].

(٢) سورة هود: [١٣-١٤].

(٣) سورة يونس:[٣٨].

وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقًا، الحريصون بغاية ما يمكنكم علىٰ إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ علىٰ شيء من ذلكم ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ من عند الله لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض»(١).

«قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب علىٰ زمان موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة علىٰ إحياء

---

(١) تيسير الكريم الرحمن(٣٥٥).

الجماد، أو علىٰ مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلىٰ يوم التناد؟ وكذلك محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عَزَّوَجَلَّ لو اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدا»[1].

كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين، كما أن بقية صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها ذوات، تعالىٰ وتقدس وتَنَزه، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

(إِذْ هُـوَ أَمْجَـدُ) إذ كلام الله أمجد ،كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥).

(٢) سورة البروج: [٢١].

٢٤. وَنَشْـهَدُ أَنَّ الْخَيْـرَ وَالشَّـرَّ كُلَّـهُ بِتَقْـدِيرِهِ وَالْعَبْـدُ يَسْـعَىٰ وَيَجْهَـدُ الإيمان بالقدر.

(**وَنَشْهَدُ**) نحن أهل السنة والجماعة ونعتقد.

(**أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ**) بيد الله كتب الخير والشر.

(**بِتَقْدِيرِهِ**) قدره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعلمه الغيب لحكمة عظيمة، لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فقدر الشر كونـًا ولـم يقدره شرعـًا، وقدر الخير كونـًا وشرعـًا.

(**وَالْعَبْدُ يَسْعَىٰ وَيَجْهَدُ**) الإنسان له قدرة علىٰ فعل الخير وترك الشر، ويجب علىٰ المسلم الإيمان بقضاء اللّه وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، وأن ما يصيب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإنا لا نملك لأنفسنا نفعـًا ولا ضراً إلا ما شاء اللّه، وإنا لنلجئ أمورنا إلىٰ اللّه كما في حديث جبريل المشهور، قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (١/ ٣٧رقم٨).

ومراتب القدر أربع:

الأولى: إثبات علم الله الأزلي الأبدي بكل شيء. قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾[1] و قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[2] .

المرتبة الثانية: الكتابة، وهي كتابة الله لجميع الأشياء باللوح المحفوظ. الدقيقة والجليلة. ما كان وما سيكون. ودليلها قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] .

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ**

(١) سورة البقرة: [٢٣١].

(٢) سورة الطلاق: [١٢].

(٣) سورة الحديد: [٢٢].

بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ»[(١)].

المرتبة الثالثة: المشيئة النافذة التي لا يردها شيء وقدرته التي لا يعجزها شيء، فجميع الحوادث، وقعت بمشيئة الله وقدرته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالىٰ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

المرتبة الرابعة: التصديق الجازم بأنه سبحانه هو الموجد للأشياء كلها، وأنه الخالق وحده وكل ما سواه مخلوق له، وأنه علىٰ كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، قال الله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾[(٣)].

فلا بد من الإيمان بهذه الأربع»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: أبواب التفسير، باب: سورة ن (ج ٥/ ص ٤٢٤ / رقم:٣٣١٩)، وأحمد (ج٣٧/ ص٣٨١، رقم ٢٢٧٠٧) بنحو لفظه.

(٢) سورة التكوير: [٢٩].

(٣) سورة الزمر: [٦٢].

(٤) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية علىٰ العقيدة الواسطية ص: ١٢٢.

٢٥. وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ   مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ تعريف الإيمان.

(وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ) الإيمان عند أهل الحق، أهل السنة والجماعة قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فلا يستقيم الإيمان إلا بالقول والفعل والنية.

روىٰ الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة» (١).

قال محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب علىٰ جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتىٰ

(١) الشريعة للآجري (٢/ ١٣١).

يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمنًا دل علىٰ ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين» (١).

(**مِنَ الْخَيْرِ**) يرجع الضمير إلىٰ القول والفعل والنية، أي: يكون القول والفعل كلاهما في صلاح وخير، وكذلك النية طيبة صالحة موافقة لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به وما أمر به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ**) والطاعات معطوفًا علىٰ الخير، فنحن أهل السنة والجماعة نقيد، أي يصدق أقوالنا بأعمالنا، حيث لا يتم إيمان عبد حتىٰ يثبت ذلك بالأعمال والطاعات الموافقة لما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنية الصالحة الخالصة لله عَزَّوَجَلَّ، فهذان شرطا قبول العمل الصالح؛ الإخلاص والمتابعة.

٢٦. وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَىٰ وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسُدُ زيادة الإيمان ونقصانه.

(**وَيَزْدَادُ**) أي الإيمان يزداد بالطاعات، وترك المعاصي، وينقص بفعل المعاصي، سواء كانت كبائر أو إصرار علىٰ صغائر، فإن إيمان

---

(١) الشريعة للآجري (٢/ ١١٩).

المسلم العاصي ينقص علىٰ قدر معصيته، حتىٰ ما يبقىٰ من إيمانه إلا علىٰ قدر طاعته، حتىٰ كأنه ظلة علىٰ رأسه وقد يرتفع عنه بفعل ما ينافي الإيمان بالكلية، وكلما عمل المسلم بالطاعات، فإن إيمانه يزداد بذلك وكلما كمل المسلم في أعماله كمل في إيمانه.

قال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز، والعراق، والشام ومصر منهم: مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان، وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا: وكل ما يطاع الله عَزَّوَجَلَّ به من فريضة ونافلة، فهو من الإيمان.

والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان الواجب، من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان؛ بارتكابهم الكبائر. ألا ترىٰ إلىٰ قول

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع علىٰ توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال وفي إجماعهم علىٰ ذلك مع إجماعهم علىٰ أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل علىٰ صحة قولنا: إن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين، وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدوداً جعلها كفارة وتطهيراً كما جاء في حديث عبادة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن واقع منها شيئًا يعني من الكبائر وأقيم عليه الحد؛ فهو له كفارة، ومن

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الحدود ، باب: لا يشرب الخمر (٨/ ٣٢٥/ رقم٦٧٧٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب:نقصان الإيمان بالمعاصي (١/ ٧٧/ رقمه١٠٤).

لا فأمره إلىٰ الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه[١]، وليس هذا حكم الكافر؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٢] أي: إنما المؤمن حق الإيمان من كانت هذه صفته، ولذلك قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[٣] ومثل هذه الآية في القرآن كثير وكذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنِ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار (١/ ١٥/ رقم: ١٨)، ومسلم، كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها (٣/ ١٣٣٣/ رقم١٧٠٩).

(٢) سورة الأنفال: [٢].

(٣) سورة الأنفال: [٤].

(٤) رواه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن المسلم من سلم المسلمون من =

وقولــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَــلُ الْمُــؤْمِنِينَ إِيمَانًــا أَحْسَــنُهُمْ خُلُقًا**»[(١)](٢).

(**وَيَفْسُـدُ**) أي: أن الإيمـان يفسـد مـع زيـادة المعاصـي، وكثرتهـا وإصرار صاحبها عليها.

الإيمان بيوم القيامة وأحواله.

٢٧. **نُقِـرُّ بِـأَحْوَالِ القِيَامَـةِ كُلِّهَـا   وَمَـا اشْـتَمَلَتْهُ الـدَّارُ حَـقًّا وَنَشْـهَدُ**

(**نُقِـرُّ**) أي: نقر بـه في أنفسـنا ويسـتقر فيهـا حقيقـة وإيمانـًا بـه في قلوبنا، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

لسانه ويده (٣/ ٤٤٨/ رقمه:٢٦٢١)، والنسائي، كتاب: الإيمان، باب: صفة المؤمن، (٨/ ٤٧٨/ رقمه: ٥٠١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٨٩/ رقمه: ٥٤٩).

(١) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: الدليل على الزيادة والنقصان (٥/ ٢٧٧/ رقمه: ٤٦٤٤)، والترمذي، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها (٢/ ٢٢٤/ رقم١١٦٢)، وقال الترمذي: «حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٤١/ رقمه: ٤٦٨٢).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٤/ ٢١١-٢١٢).

(**بِأَحْوَالِ القِيَامَةِ كُلِّهَا**) بأحوال يوم القيامة حقـًا وأن ما جاء في وصف الأحوال التي تكون يوم القيامة حق.

(**وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ**) المراد بالدار دار الآخرة، وما اشتملته تلك الدار من :الحساب والعذاب والنعيم ، وأنه حق، وفتنة القبر ونعيمه حق، والبعث بعد الموت حق، وقيام الساعة والوقوف بين يدي اللّه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة للحساب والقصاص حق، والميزان حق، والصراط حق، والحوض والشفاعة التي خصّ بها نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة حق، والشفاعة من الملائكة والنبيين والمؤمنين حق، والجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان لا يبيدان ولا يفنيان، وخروج المؤمنين من النار بعد دخلوها حق، ولا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأن المؤمنين يرون ربهم عَزَّوَجَلَّ في الآخرة من غير حجاب، وأن الكفار عن رؤية ربهم عَزَّوَجَلَّ لمحجوبون.

الحض على التفكر في مخلوقات الله ﷻ.

٢٨. تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ مَمَالِكُهُ العُظْمَىٰ لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

يدعو الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ التدبر والتفكر في مخلوقات الله وآياته العظام التي تدل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيقول: **(تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ)** فأينما تقلب بصرك ترىٰ أثراً من آثاره عَزَّوَجَلَّ ففي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد.

(وَمَا حَوَتْ مَمَالِكُهُ العُظْمَىٰ لَعَلَّكَ تَرْشُدُ) فكل ما في السموات والأرض ملك للواحد القهار، فانظر في ممالكه العظيمة من سماوات وأرض وجبال وبحار وأنهار وكائنات حية، كلها عجائب من عجائب خلقه التي ترشد المتأمل فيها إلىٰ توحيده والإذعان لأمره، ثم يسرد بعض تلك الآيات بقوله:

٢٩. أَلَمْ تَرَ هٰذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلماً فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ

(أَلَمْ تَرَ هٰذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا) هنا يوجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ التأمل في آية عظيمة من آيات الله يشاهدها جميع الخلق، وهي آية الليل كيف يدخل تدريجاً حتىٰ يغطي الدنيا بظلامه، وبعد أن يبسط ظلامه علىٰ

الكون وكأنه لا يوجد غيره، ولن ينتهي.

(فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ) تأتي آية أخرىٰ من آيات العظيم المتكبر وهي آية النهار ويُشَبّه النهار بالجيش الذي يقضي علىٰ العدو بكثرته وقوته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [(١)].

وفيه إشارة إلىٰ عظم هذا التبادل بين الليل والنهار، وأنهما من أعظم آيات الله الكونية التي تدعوا إلىٰ التدبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ۝٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [(٢)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا امتنان من الله علىٰ عباده، يدعوهم

(١) سورة الليل: [١ - ٢].

(٢) سورة القصص: [٧١ - ٧٢].

به إلىٰ شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.

فهل أحد يقدر علىٰ شيء من ذلك؛ فلو جعل ﴿عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ (١) مواعظ الله وآياته سماع وفهم وقبول وانقياد، ولو ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾(٢) مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم.

وقال في الليل ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وفي النهار ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار.

---

(١) سورة القصص: [٧١].

(٢) سورة القصص: [٧٢].

وفي هذه الآيات، تنبيه إلىٰ أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرىٰ مع العوائد، ورأىٰ أن هذا أمر لم يزل مستمراً، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء علىٰ الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر»[1].

التأمل في عظم السماء وما فيها من الكواكب الوقادة.

٣٠. تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا كَوَاكِبُهَا وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ

(**تَأَمَّلْ**) يا أيها السائل عن طريق الحق (**بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا**) وهي آية من أعظم آيات الله المحسوسة.

(**كَوَاكِبُهَا وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ**) والكواكب والنجوم والشمس والقمر، أي: في تكرار وانتظام علىٰ نسق لا اختلال فيه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٩٣).

مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾(١).

وفي هذا البيت إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ

---

(١) سورة الملك: [٣ – ٣].

(٢) سورة الغاشية: [١٧ – ٢٠].

(٣) سورة البروج: [١].

يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(١).

هذه السماء والكواكب المضيئة فيها الوقادة، التي تتردد في فلك بأمر ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في انتظام مذهل للعقول تأملها تأمل مستبصر مريد للحق، معظم لخالقها عَزَّوَجَلَّ.

الله ﷻ هو الخالق لجميع المخلوقات المتصرف في جميع شؤونها.

٣١. أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ

(**أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفٌ**) هنا استفهام استنكاري، أليس لهذا الكون الجميل والإبداع العظيم موجد وخالق عظيم!!!. «قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدليل علىٰ وجود الرب تعالىٰ؟ فقال: يا سبحان الله!!! إن البعرة لتدل علىٰ البعير، وإن أثر الأقدام لتدل علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك علىٰ وجود اللطيف الخبير؟» (٢).

---

(١) سورة يس: [٣٨ – ٤٠].

(٢) تفسير ابن كثير: [١/ ١٩٧].

فهذه المخلوقات العظيمة، وهذه الآثار ألا تدعوكم أيها الناس أن تتفكروا فيها، وأنها لم توجد نفسها من العدم، وإنما لها محدث يتصرف فيها كيف يشاء ومتىٰ يشاء وبما يشاء، وهذا المتصرف له صفات عظيمة، لهذا الأمر وهو أنه (**حَكِيمٌ**) وهذا اسم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي من معانيه الحكمة البالغة النافذة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**عَلِيمٌ**) بكل مخلوقاته مستحق للعبادة (**وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ**)، واحد في ذاته، واحد في صفاته.

إتقان صنع الله عَزَّوَجَلَّ.

٣٢. **بَلَىٰ وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ للهِ تَشْهَدُ**

فهذه المخلوقات علىٰ عظمها، فإن خالقها أعظم منها، ثم يذكر صفات الله العظيمة التي تدل علىٰ حكمته، وعلمه بكل المخلوقات مبدؤها ومعادها، ومع تعداد صفاته، فإنه واحد متفرد بهذه الصفات، أي أن تعداد هذه الصفات لا يعني تعدد الموصوف؛ بل تعددها يدل علىٰ عظم الموصوف، فهو واحد في ذاته واحد في صفاته، واحد في استحقاقه للعبادة.

ثـم يجيـب بمـا استيقن في نفسـه مـن الإيمـان بـالله عَزَّوَجَلَّ (**بَلَـىٰ وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا**) وأنه هـو الـذي أتقـن كـل شـيء صـنعه مـن منطلـــق قولـــه تعـــالىٰ: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] وأنـه أتقـن الصـنع؛ (**وَأَوْدَعَهَـا الأَسْـرَارَ للهِ تَشْـهَدُ**) فقـد أودعهـا الأسـرار العظيمـة التـي لا يعلمهـا إلا هـو، وهـي تشـهد لله بالوحدانية.

٣٣.وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا	وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ	عظم آيات الله عَزَّوَجَلَّ وتعددها.
٣٤.وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ	بِهَـا يُعْـرَفُ اللهُ العَظِـيمُ وَيُعْبَـدُ	
٣٥.لَقَـدْ قَامَـتِ الْآيَـاتُ تَشْـهَدُ أَنَّـهُ	إِلَـهٌ عَظِـيمٌ فَضْـلُهُ لَـيْسَ يَنْفَـدُ	

يبدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتذكير بآيات الله في الأرض (**وَفِي الْأَرْضِ آيَـاتٌ لِمَـنْ كَـانَ مُوقِنًـا**) وهـذه الآيـات يسـتفيد منهـا مـن يتفكـر فيهـا ويتدبرها، وأنها تنفع من كان موقنـًا مؤمنـًا بالخـالق (**وَمَـا تَنْفَـعُ الْآيَـاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ**) وأنها لا تنفع الكـافر الظـالم الجاحـد لوجـود الله، قـال

(١) سورة النمل: [٨٨].

تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(١). وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (٣).

(وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبُ) ومن آياته العظيمة ما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في النفس البشرية.

(بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَدُ) بهذه الآيات العظيمة يتعرف الإنسان علىٰ عظمة الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٤) وغيرها من الآيات.

وهذه الآيات تدل كل ذي لب وتدبر علىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهنا ينبه علىٰ مسألتين عظيمتين:

---

(١) سورة العنكبوت: [٤٧].

(٢) سورة العنكبوت: [٤٩].

(٣) سورة لقمان: [٣٢].

(٤) سورة الذاريات: [٢٠-٢١].

المسألة الأولىٰ: أن التدبر والتفكر يكون في مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ التي جعلها آية لمن يريد الحق والاستدلال بآيات الله الدالة علىٰ قدرته وعظمته عَزَّوَجَلَّ وما يلحق بذلك من صرف العبادة لله عَزَّوَجَلَّ وهو توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية.

المسألة الثانية: صرف التفكر وما يلحقه من التساؤلات عن الذات الإلهية إلىٰ التفكر في مخلوقاته الدالة علىٰ عظم خالقها وموجدها من العدم، وقد جاء النهي عن التفكر في الذات الإلهية في نصوص كثيرة منها ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»[(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (ج٤/ ص٤٣٢/ رقمه: ٣٢٧٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (ج١/ ص١٢٠/ رقمه: ١٣٤).

وفي رواية أخرى عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**». قَالَ فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصىً بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ. ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا، صَدَقَ خَلِيلِي [(١)].

وَعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنْ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**» قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ. فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي [(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَذَكَرَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (ج١ / ص١١٢/ رقمه: ١٣٤).

(٢) رواه مسلم ، الموضع نفسه (ج١/ ص١٢٠/ رقمه: ١٣٥)، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في الجهمية (ج٥/ ص٣٠٢/ رقمه: ٤٦٨٨).

نَحْوَهُ. وقَالَ : «**فَإِذَا قَالُوا: ذَلِكَ فَقُولُوا: اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. ثُمَّ لْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(١).

ولفظ النسائي: «**يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتىٰ يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق؛ فمن خلق الله؟**». ثم ساق بقية الحديث.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما حقيقة الذات والعين: فغير معلومة للبشرية، ولما سأل المشركون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حقيقة ربه سبحانه: من أي شيء هو؟ أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾(٢) ولذلك لما سأل فرعون موسىٰ عن حقيقة

(١) رواه أبو داود كتاب: السنة، باب: في الجهمية (ج٥/ ص٣٠٣/ رقمه: ٤٧٢١)، والنسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: الوسوسة (ج٦/ ص١٧٠/ رقمه: ١٠٤٩٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ج١/ ص٢٣٥/ رقمه: ١١٨).

(٢) سورة الإخلاص: [١-٤].

ربه، بقوله: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١] أجابه موسىٰ بقوله: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾[٢] إذ لا وصول للبشر إلىٰ حقيقة ذاته، فدلهم علىٰ نفسه بصفاته الثبوتية؛ من كونه صمداً، وصفاته السلبية المتضمنة للثبوت؛ من كونه «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» لم يجعل لهم سبيلاً إلىٰ معرفة الذات والكنه»[٣].

هذه الأدلة تنهىٰ عن التفكر في الذات الإلهية، وبمفهومها تحث علىٰ التفكر والتدبر في الصفات والمخلوقات كما يدل علىٰ ذلك الكثير من الأدلة الأخرىٰ، لأن هذه الآيات العظيمة قامت تشهد بعظمة خالقها، فكل عظيم من المخلوقات، فالله أعظم منه.

٣٦. فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ أَجَابَهُ وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّىٰ وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ غرس الإلـه.

(فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ) غرس: زرع، أي من زرعه الإله

(١) سورة الشعراء: [٢٣].

(٢) سورة الشعراء: [٤].

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٢١).

(أَجَابَهُ) استجاب لأمر الله.

(وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّىٰ وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ) أي: لا يسعد من يولي عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والمعنىٰ: أن من وفقه الله واعتنىٰ به، فهو الموفق للاستجابة لأمر ربه، أما من يولي ويعرض فلا سعادة ولا توفيق له، وهو يشير إلىٰ حديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ**»[1].

أي: أنه يغرس فِي أَهْل هذا الدين، ولذا يستعمل أهل الدين في طاعته ولعل هذا هو المجدد للدين علىٰ رأس كل مائة سنة الذي جاء في الحديث الذي قال فيه صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب: السنة، باب:اتباع سنة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج١/ ص٢٩/ رقمه: ٨)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (ج١/ ص٦/ رقمه: ٨)، والسلسلة الصحيحة (ج٥/ ص٥٧١/ رقمه: ٢٤٤٢).

(٢) رواه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المئة، (ج٥/ ص٤٣/ رقمه: ٢٤٩١)، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (ج٤/ ص٥٦٧/ رقمه: ٨٥٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ج٣/ ص٢٣/ رقمه: ٤٢٩١).

ويحتمل أنه أعم فيشمل كل من يدعو الناس إلىٰ إقامة دين الله وطاعته وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يزال غرس الله الذين غرسهم في دينه، يغرسون العلم في قلوب من أهّلهم الله لذلك وارتضاهم، فيكونوا ورثة لهم كما كانوا هم ورثة لمن قبلهم، فلا تنقطع حجج الله والقائم بها من الأرض، وفي الأثر المشهور (**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم بطاعته**).

وكان من دعاء بعض من تقدم: اللهم اجعلني من غرسك الذين تستعملهم بطاعتك، ولهذا ما أقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه إليه إلا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة، إما في قلوب أمثاله، وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده، وبهذا وبغيره فضل العلماء علىٰ العباد فإن العالم إذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرىٰ عليه أجره وبقي له ذكره، وهو عمر ثان وحياة أخرىٰ وذلك أحق ما تنافس فيه

---

(١) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ١٤).

المتنافسون ورغب فيه الراغبون»[١].

وَغَرْسًا، أي: أنه يجيب الله في طاعته واتباع ما جاء في كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما من ولىٰ وأدبر وأعرض عما جاء به، فلا ينفعه شيء كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[٢].

٣٧. عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ تعريف التقوى.

(**عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ**) يوصي بتقوىٰ الله في فعل أمره واجتناب نهيه و«التقوىٰ: اسم من الاتقاء. وهو: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته. وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل، أو ترك»[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج٨/ ص٤٨٩/ رقمه: ٧٢٨٠).

(٣) القاموس الفقهي (ص: ٣٨٦).

وقد عرفها طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «التقوىٰ عمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله علىٰ نور من الله، و ترك معصية الله مخافة عقاب الله علىٰ نور من الله»(١).

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٠٢) ﴾(٣).

قال مُحَمَّد بن إسحاق بن حبيب الوسطىٰ:

عَلَيكَ بِتَقْوَىٰ اللهَ في كُل حَالَةٍ ... تَجِدْ نَفْعَهَا يَوْمَ الحِسَابِ الْمُطَوَّلِ
أَلا إِنَّ تَقْوَىٰ الله خَيْرُ بِضَاعَةٍ ... وَأَفْضَلُ زَادِ الظَاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ
وَلا خَيْرَ في طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَ ... إِذِ أَنْتَ مِنْهَا بِالتُّقَىٰ لَمْ تَزَوَّدِ(٤)

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٤/ رقم٣٠٣٥٦).

(٢) سورة البقرة: [٢٨٢].

(٣) سورة آل عمران: [١٠٢] .

(٤) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ٥٧٤).

(وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ) والاجتناب أبلغ من الترك، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾(١) أي: أجعلني وبني في جانب والأصنام في جانب آخر، فالناظم هنا لم يكتف بالوصية بتقوى الله مع أن التقوى تدعو صاحبها إلى البعد عن المعاصي، ولكنه أعقبها بالوصية باجتناب المنهي عنه والابتعاد عن المعاصي.

٣٨. وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ الإخلاص والمتابعة.

(وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا) يا أيها السائل عن مسلك الحق والصواب، أهم أسباب الثبات على هذا المنهج والطريق هو: الإخلاص لله -تعالى- في جميع الأمور والحذر من نقيض الإخلاص وهو الرياء.

(وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ) والسبب الثاني هو متابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل الأحوال والأوضاع.

---

(١) سورة إبراهيم: [٣٥].

وهذان هما شرطا قبول العبادة :

الأول: الإخلاص لله وهو: انجذاب القلب إلىٰ الله تعالىٰ»(١).

فلا يصرف المسلم الصادق في إيمانه عبادته لغير الله ويجتنب الريا المفسد للعبادة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾(٢) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(٣).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» (٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذئ هو حق الله علىٰ العبيد (ص:٥٩).

(٢) سورة الزمر: [٢ - ٣].

(٣) سورة البينة: [٥].

(٤) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩/ برقم: ٢٩٨٥).

الثاني : المتابعة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله -تعالىٰ- : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١)، وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٢) .

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٣): أي مردود عليه.

---

(١) سورة الحشر: [٧].

(٢) سورة النساء: [٦٥].

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصلحوا علىٰ صُلح جور فالصلح مردود (٣/ ٢٩٩/ برقم: ٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣/ برقم:١٧١٨).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصًا لله صوابًا على سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١): «أخلصه وأصوبه»، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة» (٢).

ولابد من موافقة العمل للسنَّة في ستة أمور: السبب والجنس والكيفية والقدر والزمان والمكان، فإن خالف السنة في شيء من هذه الأمور، فهو بدعة.

ومثال الابتداع في هذه الأمور على النحو التالي:

مثال المخالفة في السبب: أن يقول المرء كلَّما لبس ثوبًا (اللهم

---

(١) سورة الملك: [٢].

(٢) حلية الأولياء: (٨ / ٩٥).

صلي علىٰ محمد) هذه العبادة علىٰ هذا الوجه مخالفته لما جاء عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يتابع فيها صاحبها الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

مثال المخالفة في جنس العبادة: أن يُضحِّي بفرس بدلاً عن البقر، فالأضحية غير مشروعة علىٰ هذا الوجه وغير مقبولة؛ لأنها ليست من جنس ما شرع الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

مثال المخالفة في الكيفيَّة: لو سجد قبل الركوع لا تقبل هذه العبادة؛ لأنها مخالفة للشريعة في الكيفيَّة.

مثال المخالفة في القَدْر: لو تعبَّدَ بعبادة زائدة أو ناقصة مثل لو زاد في صلاة الظهر، فجعلها خمساً أو نقصها، فجعلها ثلاثاً لا تقبل هذه العبادة لمخالفة الشريعة في العدد.

مثال المخالفة في الزمان: لو صام الفرض في غير رمضان لا يقبل؛ لأن هذه العبادة مخالفة للشريعة في الزمان.

مثال المخالفة في المكان: لو سعىٰ في مكان غير المكان المشروع

وهو ما بين الصفا والمروة، فإن سعيه غير مقبول؛ لأنه مخالف للشريعة في المكان.

إذن العبادة لا تقبل حتىٰ تكون خالصة لله وموافقة للسنة في هذه الأمور الستة.

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالىٰ في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

وهذا هو الصراط المستقيم، الذي لا يعرفه السالك ولا يهتدي إليه إلا بموافقة الكتاب والسنة، علماً وعملاً، ومحبة وطلباً.

٣٩. تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحمٰنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

(تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحمٰنِ) التوكل هو: اعتماد القلب علىٰ الله إيماناً بكفايته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعبده.

---

(١) آية: [١١٠].

والتوكل عبادة قلبية عظيمة يحرم صرفها لغير الله، فهو الذي يستحق العبادة، وهو الذي يكفي الإنسان ما أهمه، والتوكل الصحيح على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من الشؤون، ولا يستشرف إليهم المسلم بقلبه ، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله، متبعاً فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾[1].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[2].

---

(١) سورة المائدة: [٢٣].

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله (٣/ ٣٠٤/ برقم :٢٣٤٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين (٤/ ٤٥٢/ برقم :٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٤٣٩/ برقم:٣٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٠/ برقم:٣١٠).

والتوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .

وأما التوكل على غير الله فهو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يتوكل على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق: وهذا شرك أكبر.

وثانيها: أن يتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه مع تعلق القلب به في جلب المنفعة ودفع المضرة: وهذا شرك أصغر.

وثالثها: أن يعتمد على المخلوق فيما يقدر عليه بدون أن يتعلق القلب به في جلب المنفعة ودفع المضرة: فهذا جائز كالاعتماد على شخص في بيع أو غيره»(١).

(حَقًّا وَثِقْ بِهِ) فالثقة بالله صلب التوكل وقلبه، فحقيقة التوكل

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٢١٢).

علىٰ الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه علىٰ ربه في جلب مصالح دينه ودنياه ، وفي دفع المضار ، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتىٰ استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة، فهو المتوكل علىٰ الله حقيقة.

(لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ) وهذه نتيجة التوكل علىٰ الله وثمرته، فمن توكل علىٰ الله حقـًا وصدقـًا فليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتىٰ علق ذلك بغير الله، فهو مشرك، ومن توكل علىٰ غير الله، وتعلق به، وُكِلَ إليه وخاب أمله.

فالناظم هنا يربط بين التوكل وبعض ثمراته، وأنه يتوكل علىٰ الرحمن الذي يرحم جميع عباده ونتيجة هذا التوكل الكفاية من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمتوكل عليه في قضاء كل ما يغنيه عما في أيدي الخلق، وهو طريق الرشاد في الدارين.

٤٠. تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ وَصَابِرْ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ الصبر.

يحث هنا على الصبر، «والصَّبْرُ: هو الحبس، وفي الاصطلاح: حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ الْجَزَعِ يُقَالُ: صَبَرَ وَصَبَّرْته أَنَا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (١)» (٢).

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: صبر على طاعة الله.

النوع الثاني: وصبر عن معصية الله.

النوع الثالث: وصبر على أقدار الله المؤلمة.

فقوله: **(تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ)** هو الصبر عن معصية الله، والصبر عن المعصية طاعة؛ لأن من صبر عن ارتكاب المعاصي ما صبر عنها إلا طاعة وامتثالاً لأمر الله وطاعة له، ولو لم يؤمر بالامتناع عن المعصية والصبر على ملازمة الطاعة لما منع نفسه مما تشتهيه،

---

(١) سورة الكهف: [٢٨].

(٢) لسان العرب (٤/ ٥٠٧).

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[(١)].

وقوله: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ) المراد: الصبر عند نزول أقدار الله المؤلمة وهو مقتبس من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[(٢)].

وقوله : (وَصَابِرْ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ) صبر علىٰ طاعة الله، فإن الطاعة تحتاج إلىٰ صبر علىٰ فعلها والمداومة عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[(٣)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الكهف: [٢٨].

(٢) سورة الطور: [٤٨].

(٣) سورة مريم: [٦٥].

(٤) سورة طه: [١٣٢].

والصبر من الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أما الصبر علىٰ طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان؛ بل هما أساسه وفرعه، فإن الإيمان كله صبر علىٰ ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، «وصبر عن محارم الله. فإن الدين يدور علىٰ ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما.

أما الصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، فإنه داخل في هذا العموم.

فإن العبد متىٰ علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أتم الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها علىٰ العبد رضي بقضاء الله، وسلم لأمره، وصبر علىٰ المكاره ، تقربـًا إلىٰ الله ، ورجاء لثوابه، وخوفـًا من عقابه، واغتنامـًا لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده»[1]، وبهذا يتضح كونه من الإيمان الواجب علىٰ كل مسلم الإتيان به .

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١١٢-١١٣).

٤١. وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْـمَخَافَةِ وَالرَّجَا   هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ الخوف والرجاء.

(وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْـمَخَافَةِ وَالرَّجَا) في حال سيرك في طريق الذين تقدموا، فلابد أن يكون سيرك جامع فيه بين الخوف والرجاء وهو واجب شرعي، فإن الخوف عبادة، والرجاء عبادة، واجتماعهما في القلب واجب، فلا بد أن يكون هذا وهذا جميعـًا في القلب حتىٰ تصح العبادة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

---

(١) سورة السجدة: [١٥-١٦].

(٢) سورة الأعراف: [٥٦].

(هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ) هما يرجع الضمير هنا إلىٰ الخوف والرجاء، كجناحي طائر، والطائر لا يمكنه الطيران إن لم يكن كلا جناحيه سليم، قادر علىٰ تحريكهما وتقليبهما في الفضاء كيف شاء، وبهذا يتحقق له الطيران، وهذا تشبيه للقلب حال كونه جامع بين عبادتي الخوف والرجاء حين يقصد طاعة الله وابتغاء مرضاته، فإنه يكون مثل الطائر السليم في كلا جناحيه الذي يطير بسلام، ولهذا فعلىٰ المسلم أن يجمع بينهما، فيكون خائفًا راجيًا.

و«الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوىٰ الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص. وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت» (١).

فالخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا، والرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنًا. وهذه مقامات مذمومة.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦).

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [1].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [3].

والخوف المحمود ما حال بين صاحبه ومحارم الله.

«والرجاء المحمود نوعان:

النوع الأول: رجاء مسلم عمل بطاعة الله، علىٰ نور من الله، فهو راجٍ لثواب الله.

---

(١) سورة يوسف: [٨٧].

(٢) سورة الحجر: [٥٦].

(٣) سورة الأعراف: [٩٩].

النوع الثاني: رجاء مسلم أذنب ذنوباً ثم تاب منها إلىٰ الله، فهو راجٍ لمغفرته وعفوه وإحسانه.

ففيه الاستبشار بجود الله وفضله، وفيه النظر إلىٰ سعة رحمة الله»[١].

ومن هنا اختلف العلماء في أيهما يغلب: الخوف أم الرجاء؟ هل يغلب العبد جانب الرجاء أو يغلب جانب الخوف؟ وذكروا في ذلك أقوال أكثرها تفصيلاً في هذه المسألة ما جمعه الشيخ العلامة صالح آل الشيخ في كتاب [**التمهيد**] أنقله لفائدته بتصرف يسير، حيث قال: «**والتحقيق: أن ذلك له أحوال**:

الأولىٰ: إذا كان العبد في حال الصحة والسلامة؛ فإنه إما أن يكون مسدداً مسارعاً في الخيرات، فهذا ينبغي أن يتساوىٰ في قلبه الخوف والرجاء، فيخاف ويرجو؛ لأنه من المسارعين في الخيرات.

الحال الثانية: إذا كان في حال الصحة والسلامة، وكان من أهل

---

(١) رسالة في أسس العقيدة ص: (٣٠).

العصيان، فالواجب عليه أن يغلب جانب الخوف حتىٰ ينكف عن المعصية .

الحال الثالثة: إذا كان في حال المرض المخوف؛ فإنه يجب عليه أن يعظم جانب الرجاء علىٰ الخوف، فيقوم في قلبه الرجاء والخوف ولكن يكون رجاؤه أعظم من خوفه، وذلك لقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»(١) وذلك من جهة رجائه في الله جَلَّجَلَالُهُ.

فمن قال: يغلب جانب الخوف علىٰ الرجاء، فهو في حق الصحيح العاصي.

ومن قال: يغلب جانب الرجاء علىٰ الخوف، فهو في حق المريض الذي يخاف الهلاك أو من يخاف الموت.

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالىٰ عند الموت (٤/ ٢٢٠٥/ برقم: ٢٨٧٧).

ومن قال: يساوي بين الخوف والرجاء، فنظر إلىٰ حال المسددين المسارعين في الخيرات، الذين وصفهم الله جَلَّوَعَلَا بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1]، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[2] وهذا ظاهر»[3].

٤٢. وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ — طهارة القلب.

(وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ) اهتم بقلبك وطهره من كل الآفات، وأعظم الآفات آفة الشرك والكفر والحقد والحسد والغل وغيرها من أمراض القلوب، فأمراض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي، فالله سبحانه يذكر أسباب وأنواع أمراض القلوب

(١) سورة الأنبياء: [٩٠].

(٢) سورة الإسراء: [٥٧].

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٣٨٥) بتصرف يسير.

وطرق علاجها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات؛ ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى

(١) سورة العنكبوت: [٥١].

(٢) سورة الإسراء: [٨٢].

يصلح القلب، فتصلح إرادته ويعود إلىٰ فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلىٰ الحال الطبيعي، ويغتذىٰ القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يتغذىٰ البدن بما ينميه ويقيمه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن والزكاة في اللغة النماء والزيادة»[١].

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه، فلا كفاه الله»[٢].

«قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض الناس: لو صححت لم تخف أحداً.

أي: خوفك من المخلوق، هو من مرض فيك كمرض الشرك والذنوب.

وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي

---

(١) أمراض القلوب (ص٤٤-٤٥).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص ٢٦٣).

ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾[(١)]» [(٢)].

وهكذا ما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة سبيل الدلالة علىٰ سببه وعلاجه، والوقاية منه لمن رزقه الله فهمـًا لكتابه و سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ) وكن دائما حريصـًا علىٰ تفقد قلبك من كل العيوب والآفات، مراعيـًا لتقلباته وحركاته وسكناته حتىٰ يسلم لك، وتستمر في سيرك إلىٰ ربك؛ وهذه سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان أَكْثَرُ حلف النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ**» [(٣)].

وعن أم سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ

---

(١) سورة الأنعام: [١٢٢].

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٠٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧/ ٢٧٩/ رقمه: ٦٦٢٨).

دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(١).

تجميل القلب بنصح الخلق.

٤٣. وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الْخَلْقِ قَلْبَكَ إِنَّهُ لَأَعْلَىٰ جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ

(**وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الْخَلْقِ قَلْبَكَ**) تجميل القلب أي: تزيينه دائمًا بالنصح للخلق، والنصيحة «مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته، يقال: نصح الشيء إذا خلص ونصح له القول إذا أخلصه له أو مشتقة من النصح وهي الخياطة والمنصحة، هي الإبرة»(٢).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له وهي من وجيز الكلام»(٣).

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: الدعوات (٤/ ٣٧٧/ رقمه: ٣٥٢٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ١٢٦/ رقمه: ٢٠٩١).

(٢) لسان العرب (٢/ ٦١٧).

(٣) فتح الباري (١/ ١٨٣).

وتجميل القلب بالنصح على مراتب؛ لحديث تميم الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[(١)].

قَالَ ابْن بَطَّال رَحِمَهُٱللَّهُ: «أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ألا ترى أن رسول الله بايع جريرًا على النصح، كما بايعه على الصلاة والزكاة، سوى بينهما في البيعة؟ ... والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه. وأما إن خشي الأذى، فهو في سعة منها»[(٢)].

(إنه لَأَعْلَىٰ جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ) أي: جمل قلبك بنصح الناس وحب الخير لهم كما تحبه لنفسك، فيه جمال القلوب ورفعتها،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن النصيحة (١/ ٧٤/ رقمه: ٥٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١١٧-١١٨).

وكمال إيمانها، فهو مما يجمل صاحبه عند الله وعند الخلق، فالقلب السليم من الكفر والنفاق والغش والمكر والحقد وجميع الآفات، هو أجود القلوب وأفضلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١].

وفي البيت الثاني يرشد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أدب عظيم في الصحبة فيقول:

٤٤. وَصَاحِبْ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ

أهمية الصحبة الصالحة.

أي: إذا أردت اتخاذ أصحاب، فاحرص علىٰ اختيار الموفق للخير الذي يعينك عليه، بالنصيحة والإرشاد، وهو بهذا يذكر بأثر الأصحاب في حياة الإنسان، وحتىٰ بعد مماته كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢].

---

(١) سورة الشعراء: [٨٨ – ٨٩].

(٢) سورة الزخرف: [٦٧].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين»[1].

٤٥. وَإِيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ

يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صحبت من إذا صحبته جرك إلىٰ الخسارة والهوة، وأعظم خسارة ، خسارة الدين، فالحذر الحذر من مجالس أصحاب البدع والخرافات، والفسوق والفجور والمجون، حتىٰ لا يصل بك الأمر إلىٰ الخسار الذي لا تردد فيه ولا ينفع حينئذ ولات حين مناص، بل إنه يتبرأ منك كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ**﴾[2].

«قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي المودَّات التي كانت بينهم لغير الله. فإن «المخالة» تحاب وتواد؛ ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ**

---

(١) جامع البيان (١١/ ٢٠٨).

(٢) سورة البقرة: [١٦٦].

دِينِ خَلِيلِهِ»(١) فإن المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب، فإذا اتبع أحدهما صاحبه علىٰ محبته ما يبغضه الله ورسوله؛ نقص من دينهما بحسب ذلك إلىٰ أن ينتهي إلىٰ الشرك الأكبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ (٢) والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتبعوه علىٰ محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك؛ فلهذا ألزمهم محبوبهم.

وفي حديث الشفاعة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«أن المؤمنين يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ**

---

(١) رواه أبو داود :كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس (٥/ ٣٦٩/ برقم: ٤٨٠٠)، والترمذي: كتاب الزهد: (٣/ ٣٢٠،برقم: ٢٣٧٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (برقم ٤٩٤٦).

(٢) سورة البقرة: [١٦٥].

دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَإِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾[1].

وحديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب: قول الله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨/ ٥٣٨، برقم: ٧٤٣٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧، برقم: ١٨٣).

أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تمثيله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»[٢].

٤٦. خُذِ العَفْوَ مِنَ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ التزام خلق العفو.

(**خُذِ العَفْوَ مِنَ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ**) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩** ﴾[٣].

---

(١) رواه البخاري: كتاب: البيوع، باب: في العطار و بيع المسك:٣/ ٢٢، برقم٢١٠١)؛ ومسلم كتاب البر و الصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٤/ ٢٠٢٦، برقم: ٢٦٢٨).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٤٦-١٤٧).

(٣) سورة الأعراف: [١٩٩].

وأن العفو عن المسيء من أخلاق المحسنين وهو مما يحبه الله ويحب أهلها، قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمرهم تعالىٰ بالمسارعة إلىٰ مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوىٰ هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئا ولو قل.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب

---

(١) سورة آل عمران: [١٣٣-١٣٤].

للانتقام بالقول والفعل-، هؤلاء لا يعملون بمقتضىٰ الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلىٰ بالأخلاق الجميلة، وتخلىٰ عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره علىٰ ربه الكريم، لا علىٰ العبد الفقير، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلىٰ وأجل، وهي الإحسان، فقال -تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلىٰ المخلوق.

فالإحسان في عبادة الخالق: فسرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بقوله: « «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [(١)].

وأما الإحسان إلىٰ المخلوق: فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، علىٰ اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندىٰ وكف الأذىٰ، واحتمال الأذىٰ، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده»[(٢)].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[(٣)].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٨).

(٣) رواه ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين =

ولقَوْله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»: «وجهان أحدهما: على ظاهره ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.

والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك»(١).

الحث على التحلي بخلق الزهد.

٤٧. **تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ**

(**تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً**) يدعو رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الزهد وألا يتخذ المرء الدنيا موطنًا له ودار إقامة.

(**وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ**) وإنما يتخذها المرء داراً للتزود للدار الباقية، ويكون فيها معتدلاً وسيره فيها على نهج السلف الصالح، وفيه إشارة إلى حديث عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ**

ومجانبة قرناء السوء (٤/ ٢٠٠١، برقم: ٢٥٨٨).

(١) شرح النووي على مسلم: (١٦/ ١١٦).

سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ (١).

وقَوْله: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»: قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ الحديث لا تركن إلىٰ الدنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه. وقال غيره: عابر السبيل هو المار علىٰ الطريق طالبًا وطنه، فالمرء في الدنيا كعبد أرسله سيده في حاجة إلىٰ غير بلده، فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه ثم يعود إلىٰ وطنه، ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه. وقال غيره: المراد أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا منزلة الغريب، فلا يعلق قلبه بشيء من بلد الغربة؛ بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه» (٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (٧/ ٢١٩، برقم: ٦٤١٦).

(٢) فتح الباري: (١١/ ٢٨٢).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إشارة إلىٰ إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلىٰ أكثر مما يبلغه إلىٰ غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلىٰ أكثر مما يبلغه المحل، وقال غيره: هذا الحديث أصل في الحث علىٰ الفراغ عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة.

الحث على لزوم طريق السلف.

٤٨. وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا   إِلَىٰ المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ

(**وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا**) أي: كن في زهدك وتركك الدنيا علىٰ طريقة الذين تقدموا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ومن اتبعهم في زهدهم وعبادتهم، كما أمر الله بذلك في كتابه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

(**إِلَىٰ المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ**) فينصح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الأحزاب: [٢١].

من يتأمل منظومته أن يدير ظهره للدنيا إلا بما يبلغه الدار الآخرة، وأن يكون زهده في الدنيا علىٰ نهج السلف الصالح، وليس مبتدعـًا في ذلك، وأن يجعل مقصده ومراده مرضاة الله والدار الآخرة، تلك الدار التي جاء الحث علىٰ السير إليها في نصوص الكتاب والسنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوىٰ خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر» (٢).

---

(١) سورة العنكبوت: [٦٤].

(٢) تيسير الكريم الرحمن(٦٠٦).

٤٩. وَكُـنْ ذَاكِـرًا للهِ فِـي كُـلِّ حَالَـةٍ   فَلَـيْسَ لِـذِكْرِ اللهِ وَقْـتٌ مُقَيَّـدُ

الحث على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

(**وَكُنْ ذَاكِرًا للهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ**) هنا يوجه النصح إلىٰ المتأمل في منظومته، بأن يداوم علىٰ ذكر الله -تعالىٰ- علىٰ كل حالة، فهذه سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[1]. أي: في جميع أوضاعه في مخرجه ومدخله، وقيامه وقعوده، واضطجاعه، وعند نومه وعند الاستيقاظ، وفي كل أحواله.

(**فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ**) ويقصد به الذكر المطلق و«الذكر المطلق هو الذي ليس له وقت ولا سبب، وقد حث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ الذكر في أحاديث كثيرة منها قوله رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ**

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الحيض، باب: ذكر الله تعالىٰ حال الجنابة وغيرها (١/ ٢٨٢/ رقمه: ٣٧٣).

عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).

وخرج النَّبِيّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِ جويرية بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**». قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس (٤/ ٤٣٦/ رقمه: ٣٢٩٣)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح (٤/ ٢٠٧١/ رقمه: ٢٦٩١).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الذكر، باب: التسبيح (٤/ ٢٠٩٠/ رقمه: ٢٧٢٦).

٥٠. فَـذِكْرُ إِلٰـهِ الْعَـرْشِ سِـرًّا وَمُعْلَنًـا يُزِيـلُ الشَّـقَا وَالهَـمَّ عَنْـكَ وَيَطْـرُدُ

المداومة على الذكر في السر والعلن.

(**فَذِكْرُ إِلٰهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا**) السر ضد العلن، فهو يحث علىٰ ذكر الله في كل الأحوال وكل الأوضاع وإن كان الذكر في السر هو المقدم لما سيأتي من الأدلة.

وخصه بـ (**إله العرش**) لأنه أعظم مخلوقات الله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾(١).

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير آية الكرسي: «وهذا يدل علىٰ كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض علىٰ عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالىٰ، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة

---

(١) سورة الأعراف: [٢٠٥].

خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب»[(١)].

(سراً ومعلنًا) أي: اذكر الله في نفسك وفي خلواتك، وبلسانك في حال كونك مجتمع بالناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[(٢)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذكر لله تعالىٰ يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً وغيره تبعًا، بذكر ربه في نفسه، أي: مخلصًا خاليًا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١١٠).

(٢) سورة النمل: [٢٦].

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: متضرعًا بلسانك، مكرراً لأنواع الذكر، ﴿وَخِيفَةً﴾ في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وَجِلَ القلب منه، خوفًا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعىٰ ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: كن متوسطًا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ آخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة علىٰ غيرهما.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا علىٰ من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصا طَرَفَيِ النهار، مخلصًا خاشعًا

متضرعًا، متذللاً ساكنًا، وتواطئًا عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال علىٰ الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[(١)] .

وقال تعالىٰ عن عبده زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾[(٢)] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أثنىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عبده زكريا بقوله: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾[(٣)] .

فكلما استحضر القلب قرب الله تعالىٰ منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفىٰ دعاءه ما أمكنه ولم يتأت له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن كما أن من خاطب جليسًا له يسمع خفي كلامه فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه ولله المثل الأعلىٰ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٤).

(٢) سورة مريم: [٢ – ٣].

(٣) سورة مريم: [٢ – ٣].

سبحانه. وقد أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ هذا المعنىٰ بعينه بقوله في الحديث الصحيح، لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر: «**ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.

وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة قالوا: «يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢).

وهذا يدل علىٰ إرشادهم للمناجاة في الدعاء، لا للنداء الذي هو

---

(١) رواه البخاري، كتاب: القدر، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله (٧/ ٢٧٢/ رقمه: ٦٦١٠)، ومسلم، كتاب: الذكر، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٦/ رقمه: ٢٧٠٤).

(٢) سورة البقرة: [١٨٦].

رفع الصوت، فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأن ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلىٰ النداء، وإنما يسأل مسألة القريب المُناجىٰ، لا مسألة البعيد المُنادىٰ.

وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص، ليس قربًا عامًا من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابده»[1].

(**يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ**) أي: أن الذكر يطرد الشقاء والهم والحزن، وقد ذكر الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [الوابل الصيب] للذكر أكثر من مائة فائدة[2] منها: طرد الشيطان وقمعه، وأنه يرضي الرحمن ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور، ويقوي البدن والقلب، ويجلب الرزق، ويكسي الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحىٰ الدين ومدار السعادة والنجاة، فقد جعل الله

---

(١) التفسير القيم (ص ٢٤٦).

(٢) (ص: ٤١).

لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عَزَّوَجَلَّ، فليلهج بذكره، فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وطريقها الأعظم، وصراطها الأقوم، ويورث الذكر الذاكر المراقبة حتىٰ يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ويورثه الإنابة وهي الرجوع إلىٰ الله والقرب منه، ويفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، ويورثه الهيبة لربه وإجلاله لشدة استيلائه علىٰ قلبه وحضوره مع الله بخلاف الغافل، وحياة القلب، وأن ذكر الله يطمئن القلب ويزيل عنه همومه وأحزانه، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(١).

٥١. وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيًا وَآجِلًا وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ

من فوائد الذكر جلب الخير ودفع الوسواس.

(وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيًا وَآجِلًا) أي: أن ذكر الله يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة، في الدنيا براحة البال والطمأنينة التي لا

---

(١) سورة الرعد: [٢٨].

تحصل إلا لصاحب الذكر، قوي الإيمان وبعده عن صفات المنافقين الذين وصفهم الله بأنهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾(١)، فهو حي في قلبه، حي في بدنه، حي بذكره لربه كما في الحديث «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت».

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ. مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ:**

---

(١) سورة النساء: [١٤٢].

(٢) رواه البخاري: كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله (٧/ ٢١٦/ رقمه: ٦٤٠٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٥٢).

يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟. قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟. قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟. قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟. قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟. قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟. قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟. قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ :مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ (٧/ ٢١٦/ رقمه:٦٤٠٨).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع علىٰ ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالىٰ به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر»[١].

(وآجلاً) أي: في الآخرة بما أعده الله للذاكرين من النعيم المقيم في الجنة جزاء وفاقاً. وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: أن دور الجنة تبنىٰ بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء، وأن الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلىٰ جهنم طريق عمل من الأعمال، كان الذكر سداً في تلك الطريق، وأن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، وأن الجبال والقفار تتباهىٰ وتستبشر بمن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ عليها، وأن كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلوا الذكر لله عَزَّوَجَلَّ... وأن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة

(١) فتح الباري (١١/ ٢١٣).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص١٦٨).

الحاصلة للذاكر، وأنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة، وأن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، وأن الذكر يعطي الذاكر قوة حتىٰ أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه».

ثم أورد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة من الكتاب والسنة علىٰ ما تقدم ذكره في كتابه [الوابل الصيب] وهو كتاب نافع مفيد لكل مسلم.

(وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ) يعود الضمير علىٰ الذكر بأنه يشرد الشيطان ويبعد عن صاحبه الوسوسة، وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالاستعاذة من الشيطان، فإنه لا يفتر عن الوسوسة وتشتد وسوسته عندما يكون الإنسان في طاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ

(١) سورة النحل: [٩٨].

بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ ﴾[٢].

وفي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّىٰ إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّىٰ يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ**»[٣].

فضل كثير الذكر.

٥٢. فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ   بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ

(**فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ**) المختار هو النبي

---

(١) سورة المؤمنون: [٩٧ – ٩٨].

(٢) سورة الأعراف: [٢٠٠].

(٣) رواه البخاري، كتاب: السهو، باب: إذا لم يدر كم صلىٰ (٢/ ٣٧٣/ رقمه: ١٢٣١)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: فضل الأذان (١/ ٢٩١/ رقمه: ٣٨٩).

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذي اختاره ربه واصطفاه من بين الخلق جميعا لحمل رسالته الخاتمة إلىٰ البشرية جمعاء، وقام بما ارسله به ربه خير قيام فما ترك خيراً إلا دلهم عليه ولا شراً إلا حذرهم منه ، ومن الخير العظيم الذي دلهم عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : (**بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ**) كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**». قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟. قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[١].

قال ابن قتيبة وغيره: «وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالىٰ ... وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي»[٢].

---

(١) رواه مسلم كتاب: الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار، باب:الحث علىٰ ذكر الله (٤/ ٢٠٦٢/ رقمه: ٢٦٧٦).

(٢) شرح النووي (١٧/ ٤-٥).

٥٣.وَوَصَّىٰ مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلٰهَهُ عَلَىٰ ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ

وصية النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يشير فيه إلىٰ وصية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١).

٥٤.وَأَوْصَىٰ لِشَخْصٍ قَدْ أَتَىٰ لِنَصِيحَةٍ وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ

٥٥.بِأَنْ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هٰذِهِ تُعِينُ عَلَىٰ كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ

وصية النبي ﷺ بأن لا يزال لسان المؤمن رطبًا من ذكر الله ﷻ.

وفيه إشارة إلىٰ حديث عَبْدِاللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار (٢/ ٣٨٥/ رقمه: ١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤١٧/ رقمه١٥٢٢).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في فضل الذكر (٤/ ٢٩٧/ رقمه: ٣٣٧٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وابن ماجه كتاب: =

فهذا الرجل جاء إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يشتكي إليه كثرت الشرائع من واجبات ونوافل ومستحبات وصعوبتها عليه، وأنه يريد أن يتعلم شيئًا يتمسك به، يكفيه عن بقية الشرائع أو يعينه علىٰ أداء تلك الشرائع، وهذا الأخير ما رجحه الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ بدليل قوله (**تُعِينُ عَلَىٰ كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ**) أي: أن ذكر الله يسهل لك كل الأمور وييسرها عليك ويسعدك أيضًا بما أعده الله للذاكرين في الآخرة.

٥٦.**وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غرْسٌ لِأَهْلِهِ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَدُ** الذكر غرس الجنة.

وأخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الذكر غرس يغرسه أهله في جنات عدن، وأن المساكن تمهد في الجنة بالذكر، وفيه إشارة إلىٰ عدة أحاديث منها:

حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

الدعوات، باب: فضل الذكر (٤/ ٢٤٤/ رقمه: ٣٧٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٠٣/ رقمه: ١٤٩١).

«أَكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِهَا، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(١).

وحديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»(٢). وغيرها من الأحاديث.

٥٧. وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ   وَمَعْهُ عَلَىٰ كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ

من فضل الله ﷻ ذكره لعبده الذي يذكره.

والله يذكر من يذكره، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي

---

(١) رواه السيوطي: الجامع الصغير (١/ ٨٧ / رقمه: ١٤١٣)، وحسنه الألباني: في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٦٤/ رقمه: ١٢١٣).

(٢) رواه الترمذي: كتاب: الدعوات، باب (٤/ ٣٤٩/ رقمه: ٣٤٦٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٦٠ / رقمه: ٢٧٥٧).

فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خير مِنْهُم»[١].

٥٨. وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَىٰ بِجَنَّةٍ وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُوا

من النعيم في الجنة بقاء ذكر الله فيها.

وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذكر الله هو العبادة الوحيدة التي تبقىٰ في الجنة يتنعم بها سكان الجنة، ودليله حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ**». قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟. قَالَ: «**جُشَاءٌ**[٢] **وَرَشْحٌ**[٣] **كَرَشْحِ**

---

(١) رواه البخاري: كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالىٰ: (ويحذركم الله نفسه)، وقوله تعالىٰ: (تعلم ما في نفسي...) (٧/ ٢١٦/ رقمه: ٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب: الذكر والدعاء والاستغفار، باب: الحث علىٰ ذكر الله (٤/ ٢٠٦١/ رقمه: ٢٦٧٥).

(٢) جشأ: أخرج من فمه صوتًا مع ريح عند الشِّبَع، أو ثارت نفسه للقيء. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٧٦).

(٣) الرشح: العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا كما يرشح الإناء المتخلخل الأجزاء. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٤).

الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»[١].

وهم بهذا العمل يتنعمون ليس مثل الأعمال التي يكون عليها ثواب أو يترتب علىٰ تركها عقاب، وإنما هي في ذاتها نعيم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس؛ فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل؛ بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَه**»[٢].

يريد به العمل الذي يكون له ثواب لم يرد به نفس العمل الذي

---

(١) رواه مسلم: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم (٤/ ٢١٨٠/ رقمه: ٢٨٣٥).

(٢) رواه مسلم: كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب عد وفاته، ٣/ ١٢٥٥/ رقمه: ١٦٣١).

يتنعم به، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلىٰ الله ويتنعمون بذكره وتسبيحه ويتنعمون بقراءة القرآن «**وَيُقَالُ: لِقَارِئِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْت تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَك عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(١).

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب؛ فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا؛ والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به»(٢).

وضمن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه [حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح] فصلاً وسمه بـ[فصل في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة] (٣).

---

(١) رواه الترمذي: كتاب: فضائل القرآن (٣/ ٢٣/ رقمه: ٢٩١٤)، و أبو داود: كتاب: الوصايا ، باب: في الصدقة عن الميت (٣/ ٥١٩/ رقمه: ٢٣٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٠/ رقمه: ٢٣٢٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٣٠).

(٣) (٢/ ٨١٩).

٥٩. وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي ذِكْـرِهِ غَيْـرَ أَنَّـهُ طَرِيـقٌ إِلَـىٰ حُـبِّ الْإِلَـهِ وَمُرْشِـدُ

الذكر طريق إلى حب الله ﷻ.

في هذا البيت يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن من فوائد الذكر حب الله عَزَّوَجَلَّ للذاكر، فلا عجب أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، فإذا أحب المؤمن الله كثر منه له الذكر، وإذا كثر ذكره لربه وإخلاصه فيه أحبه ربه، والله يحب من يحبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾[١] فالله يحب أوليائه الذين يتقربون إليه عَزَّوَجَلَّ بالطاعات، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»**[٢].

---

(١) سورة المائدة: [٥٤].

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، بَابُ التَّوَاضُعِ (٧/ ٢٤٣/ رقمه: ٦٥٠٢).

٦٠. وَيَنْهَىٰ الفَتَىٰ عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ

من فوائد الذكر أنه ينهى عن الغيبة والنميمة.

في هذا البيت يذكر فائدة عظيمة أخرىٰ للذكر، وهي أنه ينهىٰ عن خلقين ذميمين:

الخلق الأول: الغيبة وقد وصفها الله عَزَّوَجَلَّ بأبشع صورة، وهي أكل لحم الميت، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟. قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٢).

---

(١) سورة الحجرات: [١٢].

(٢) رواه مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة (٤/ ٢٠٠١/ رقمه:٢٥٨٩).

فالغيبة خلق ذميم محرم بنصوص الكتاب والسنة يجب اجتنابه إلا لغرض شرعي صحيح، وذلك في أمور حددها الشارع.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلىٰ السلطان والقاضي، وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة علىٰ إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة علىٰ تغيير المنكر، ورد العاصي إلىٰ الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته علىٰ إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلىٰ إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج،

كان من أمره كذا؛ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتعيين جائز.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب علىٰ المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأىٰ متفقهًا يتردد إلىٰ مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها علىٰ وجهها: إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضىٰ حاله، ولا يغتر به، وأن يسعىٰ في أن يحثه علىٰ الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس(١)، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمىٰ، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه علىٰ جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولىٰ، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه،

(١) المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس. النهاية (٤/ ٣٤٩).

ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة [١].

والخلق الثاني: النميمة وهي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد، قال تعالىٰ عن النمام: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[٣]. وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[٤].

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القتات هو: النمام، وقيل: الفرق بين

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١١٧-١١٨).

(٢) سورة القلم: [١٠-١٢].

(٣) رواه مسلم: كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة (١/ ١٠١/ رقمه: ١٠٥).

(٤) رواه البخاري كتاب: الآداب، باب: ما يكره من النميمة وقوله تعالىٰ: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (٧/ ١١٣/ رقمه: ٦٠٥٦)، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة (١/ ١٠١/ رقمه ١٠٥).

القتات والنمام، أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها. والقتات: الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه»(١).

وقد حرم الله عَزَّوَجَلَّ النميمة وتوعد صاحبها بالوعيد الشديد كما في الأدلة السابقة وغيرها كما عالج عواقبها التي تفتك بالمجتمع.

قال الغزالي: «وكل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلانًا، قال فيك: كذا وكذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه، فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(٢).

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله، قال الله

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٨٠).

(٢) سورة لقمان: [١٧].

تعالىٰ: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[(١)].

الثالث: أن يبغضه في الله عَزَّوَجَلَّ فإنه بغيض عند الله تعالىٰ ويجب بغض من يبغضه الله -تعالىٰ-.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله -تعالىٰ- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[(٢)].

الخامس: أن لا يحملك ما حكىٰ لك علىٰ التجسس والبحث للتحقق اتباعًا لقول الله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[(٣)].

السادس: أن لا ترضىٰ لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول: فلان قد حكىٰ لي كذا وكذا، فتكون به نمامًا ومغتابًا»[(٤)].

---

(١) سورة الحجرات: [٦].

(٢) سورة الحجرات: [١٢].

(٣) سورة الحجرات: [١٢].

(٤) الإحياء (ج٩/ ص٧٢-٧٣).

(**وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ**) وكذا ينهىٰ الذكر صاحبه عن كل خلق ذميم مفسد للدين، فإن آفات اللسان كثير، وهو الذي يكب صاحبه علىٰ وجهه في النار كما في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ. قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**». قَالَ ثُمَّ تَلَا: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿ **يَعْمَلُونَ** ﴾»[1]، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ**». قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**».

---

(١) سورة السجدة: [١٦].

قُلْتُ: بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[(١)].

وهذا واضح الدلالة علىٰ أن اللسان إذا لم يشغله صاحبه بذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولزوم طاعته، فسوف يشتغل بالمعاصي، وهذا من أعظم الأسباب المهلكة التي تكب صاحبها في النار.

٦١. لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ المُوَحَّدُ

(**لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ**) هذا جواب الشرط في قوله: (**وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ...**) أي: لو لم

---

(١) رواه الترمذي كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة (٣/ ٤٤٤/ رقمه: ٢٦١٦)، قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة (٤/ ٣٤٢/ رقمه: ٣٩٧٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨٨/ رقمه: ٢٨٦٦).

يكن في ذكر الله -تعالىٰ- إلا أنه يوصل العبد الذاكر إلىٰ محبة ربه؛ لكان ذلك موجب لمداومة العبد عليه، فكيف وفوائد الذكر لا تعد ولا تحصىٰ.

(نِعْـمَ المُوَحَّـدُ) أي: المستحق للتوحيد وصرف العبادة له عَزَّوَجَلَّ.

الجهل سبب من أسباب قلة الذكر لله عَزَّوَجَلَّ.

٦٢. وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

أي: أن الجهل جرنا إلىٰ قلة الذكر كما جرنا إلىٰ قلة التعبد، وهذه نتيجة حتمية لمن يقل ذكره لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتىٰ ينساه أن تقل عبادته حتىٰ يضيعها.

و في هذا البيت يشير الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ إلىٰ مسألتين عظيمتين:

المسألة الأول: أن المعاصي سبب لقلة العبادة ومشغلة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وطاعته، فمن انشغل بالغيبة والنميمة والقيل والقال يحجب عن قلبه الخشوع والخضوع لله وتشغله عن طاعته إن لم يتدارك بالتوبة.

المسـألة الثانيـة: أن الجهـل بـالله عَزَّوَجَلَّ يضـعف في القلـب وازع الإيمان والمراقبة لله؛ فيقل الذكر والتعبد لـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن الـذكر ليس كل العبادة، بل هـو نـوع مـن أنـواع العبـادة، والعبـادة أشـمل منـه، وهي كما عرفها شيخ الإسلام: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(١).

٦٣.وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ سؤال الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق والفوز في الدارين.

(وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا) يا سائلًا عن طريق الحق والهدىٰ بعد أن عرفت أعظم معالم تلك الطريق، سل ربك التوفيق والسداد، فهو سبحانه القادر علىٰ هدايتك إلىٰ الحق، وهذه هداية التوفيق.

(فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ) فهو الكريم الذي يستحي إذا رفع العبد يده إليه أن يردهما صفراً أو خائبتين، وهداية التوفيق

---

(١) العبودية (ص٣٨).

والإلهام بيد الله عَزَّوَجَلَّ «وهي أن الله جَلَّجَلَالُهُ يجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة علىٰ قبول الهدىٰ، ما لا يجعله لغيره .

فالتوفيق إعانة خاصة لمن أراد الله توفيقه؛ بحيث يقبل الهدىٰ ويسعىٰ فيه، وليست لكل البشر، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (١).

وهناك نوع ثاني من الهداية متعلقة بالمكلف هي: هداية الدلالة والإرشاد ، وهذه ثابتة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخصوصه، ولكل داع إلىٰ الله، ولكل نبي ورسول، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (٢)، وقال جَلَّوَعَلَا في نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص: [٥٦].

(٢) سورة الرعد: [٧].

(٣) سورة الشورىٰ: [٥٢-٥٣].

ومعنىٰ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ ﴾ أي: لتدل وترشد إلىٰ صراط مستقيم بأبلغ أنواع الدلالة، وأبلغ أنواع الإرشاد، المؤيدين بالمعجزات والبراهين الدالة علىٰ صدق ذلك الهادي، وصدق ذلك المرشد.

فمن أجل ذلك يسأل الإنسان التوفيق والفوز من الله عَزَّوَجَلَّ فهو القادر علىٰ التوفيق والسداد والهداية ثم القبول.

٦٤. وَصَلِّ إِلٰهِي مَعْ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ

ختم المنظومة بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

ختم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منظومته بالصلاة والسلام علىٰ النبي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

وقوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[2] وغيره من الأحاديث.

---

(١) سورة الأحزاب: [٥٦].

(٢) رواه مسلم كتاب: الصلاة، باب: القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي =

ويصفه بما وصفه به ربه من هدايته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأمته وإرشاده لهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (١).

٦٥. وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا   صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ **الصلاة والسلام على الصحابة ومن تبعهم.**

ثم يسلم علىٰ الآل والأصحاب.

واسم **الآل** يطلق: ويراد به المؤمنون من قرابة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويراد به أتباع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أمته.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: «الآل: تطلق علىٰ معان: وأصح ما نقول فيها: أنها إن قرنت بالأتباع، فالمراد بها المؤمنون من قرابته وإن لم تقرن بالأتباع، فالمراد بآله: أتباعه علىٰ دينه، ويشمل المؤمنين من قرابته. هذا هو أصح ما قيل في الآل» (٢).

علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثم يسأل له الوسيلة (١/ ٢٨٨/ برقم: ٣٨٤).

(١) سورة الشورىٰ: [٥٢].

(٢) شرح العقيدة السفارينية (ص٥٨).

والله أعلم أن مراد الناظم بالآل من قرابته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقرينة أنه ذكر الأتباع بعد الصحابة، فقال:

وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ

فرتبهم:

الأول: المؤمنون من قرابته.

ثانيًا: أصحابه الذين صحبوه وهم مؤمنون به وماتوا علىٰ الإيمان.

ثالثًا: الأتباع الذين اتبعوه في الدين، ولم يبتدعوا ولم يغيروا ولم يبدلوا في الدين، وهم من سار علىٰ نهجه ونهج الصحابة من بعده إلىٰ يوم القيامة، صلاة وسلام يدوم بلا نفاد، ويخلد بلا انقطاع.

تمت بحمد الله وفضله

..*

(المراجع)

١. **إحياء علوم الدين**، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢. **الأدب المفرد**، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٣. **الأسماء والصفات**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٤. **الإصابة في تمييز الصحابة**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٥. **أصول الدين**، المؤلف: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان.

٦. **أصول السنة**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الناشر: دار المنار – الخرج – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٧. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٨. **أمراض القلب وشفاؤها**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة.

٩. **البداية والنهاية**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٠. **تاريخ دمشق**، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥.

١١. **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى.

١٢. **التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية**، المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن مانع (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، عبدالعزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

١٣. **التعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية**، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٤. **تفسير أسماء الله الحسنىٰ**، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

١٥. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٦. **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان.

١٧. **تقريب التهذيب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٨. **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.

٢٠. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب

الاسلامي، بيروت، دمشق.

٢١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢٣. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٤. **الجديد في شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، دارسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد،

الناشر: مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٥. **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الناشر: مطبعة المدني.

٢٦. **حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت.

٢٧. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها.

٢٨. **الرد على الجهمية**، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن

خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير – الكويت.

٢٩. **رسالة في أسس العقيدة**، المؤلف: محمد بن عودة السعوي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٠. **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ).

٣١. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٢. **السنة**، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر

الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٣. **سنن ابن ماجه،** المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٤. **سنن أبي داود،** المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣٥. **سنن الترمذي** ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢).

٣٦. السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات.

٣٧. **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٨. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية.

٣٩. **شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٤٠. **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤١ . **شرح مشكل الآثار**، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٤٢ . **الشريعة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية.

٤٣ . **شعب الإيمان**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند.

٤٤ . **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**،المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

٤٥. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤٦. **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، نشر: دار الكتب العربية، بيروت – لبنان.

٤٧. **صحيح سنن أبي داود**، تأليف/ محمد بن ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة دار المعارف -الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٨. **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني، كتاب إلكتروني.

٤٩. **صريح السنة**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

٥٠. **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان.

٥١. **الطب النبوي**، (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

٥٢. **العبودية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٥٣. **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن

عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض.

٥٤. **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضىٰ بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبدالله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفىٰ: ٨٤٠هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥٥. **العين**، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفىٰ: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب.

٥٧. **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:١٢٥٠هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤.

٥٨. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٥٩. **الفروق اللغوية**، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٦٠. **الفقه الأكبر** ، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ)،الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٦١. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، المؤلف: الدكتور سعدي أبو

حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م، تصوير: ١٩٩٣م.

٦٢. **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية.

٦٣. **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ.

٦٤. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،-الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٦٥. **الكفاية في علم الرواية**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن

ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٦٦. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٦٧. **متاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٦٨. **مجمل اعتقاد أئمة السلف**، المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٦٩. **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧٠. **مجموعة الرسائل والمسائل**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.

٧١. **مختار الصحاح**، المؤلف: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

٧٢. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر:

دار الكتاب العربي – بيروت.

٧٣. **مذكرة على العقيدة الواسطية**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

٧٤. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧٥. **مسند أبي داود الطيالسي**، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر.

٧٦. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٧٧. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى نحو: ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٧٨. **المصنف في الأحاديث والآثار**، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

٧٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش.

٨٠. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المؤلف: د. أحمد مختار عبدالحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٨١. **المعجم الوسيط**، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٨٢. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٣. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية: ١٣٩٢هـ.

٨٤. **موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان**، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

٨٥. **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، المؤلف: محمد بن أبي بكر

بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،
تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر.

..*

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

(فهرس الموضوعات)

تقديم الشيخ / صالح السحيمي حفظه الله.......................................٢
تقديم الشيخ/ فهد الفهيد حفظه الله.......................................٣
المقدمة.......................................٤
ترجمة الناظم.......................................٦
المنظومة.......................................١١
تعريف العقيدة.......................................١٥
تعريف الأخلاق.......................................١٧
مقدمة المنظومة.......................................٢١
إقرار أهل الحق بأنواع التوحيد وأولها توحيد الربوبية ثم يعقبه بتوحيد الألوهية
وتوحيد الأسماء وصفات.......................................٢٥
الحب والذل.......................................٣٦
الثناء علىٰ الله بما هو أهله.......................................٣٧
تسبيح جميع المخلوقات لله.......................................٤٢
تنـزيه الله عن الكفء والمثيل والنقصان.......................................٤٥
إثبات أهل السنة لجميع صفات الله سبحانه وتعالىٰ.......................................٤٧

عدم تقديم العقل علىٰ ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرع.......... ٥٢
بعض أسماء الله عز وجل.................................... ٥٤
معنىٰ اسم الله الصمد.. ٥٤
اسم الله العلي، وصفة العلو والقرب لله........................ ٥٥
صفات الحي والقيوم، والجواد والغني........................... ٥٨
إحاطة الله بجميع مخلوقاته.................................... ٦٣
إثبات السمع والبصر لله..................................... ٦٥
صفة الملك المطلق لله سبحانه وتعالىٰ.......................... ٦٨
إثبات صفة النزول لله بما يليق به سبحانه...................... ٧٠
إيمان أهل السنة بجميع الأنبياء والرسل........................ ٧٣
محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الأنبياء والرسل.................... ٧٤
فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.................................... ٨١
وجوب حب الصحابة.. ٨٧
القرآن كلام الله حق... ٨٨
الإيمان بالقدر... ٩٤
مراتب القدر.. ٩٥

تعريف الإيمان........................... ٩٧
زيادة الإيمان ونقصانه........................... ٩٨
الإيمان بيوم القيامة وأحواله........................... ١٠٢
الحض علىٰ التفكر في مخلوقات الله........................... ١٠٤
التأمل في عظم السماء وما فيها من الكواكب الوقادة........................... ١٠٧
الله هو الخالق لجميع المخلوقات المتصرف في جميع شؤونها........................... ١٠٩
اتقان صنع الله عز وجل........................... ١١٠
عظم آيات الله وتعددها........................... ١١١
غرس الإله........................... ١١٦
تعريف التقوىٰ........................... ١١٩
الإخلاص والمتابعة........................... ١٢١
التوكل علىٰ الله عز وجل........................... ١٢٦
الصبر........................... ١٣٠
أنواع الصبر........................... ١٣٠
الخوف والرجاء........................... ١٣٣
طهارة القلب........................... ١٣٨

تجميل القلب بنصح الخلق........................١٤٢
أهمية الصحبة الصالحة........................١٤٤
التزام خلق العفو........................١٤٨
الحث علىٰ التحلي بخلق الزهد........................١٥٢
الحث علىٰ لزوم طريق السلف........................١٥٤
الحث علىٰ ذكر الله........................١٥٦
المداومة علىٰ الذكر في السر والعلن........................١٥٨
من فوائد الذكر جلب الخير ودفع الوساوس........................١٦٤
فضل كثير الذكر........................١٦٩
وصية النبي لمعاذ ابن جبل........................١٧١
وصية النبي بأن لا يزال لسان المؤمن رطبا من ذكر الله........................١٧١
الذكر غرس الجنة........................١٧٢
من فضل الله ذكره لعبده الذي يذكره........................١٧٣
من نعيم في الجنة بقاء ذكر الله فيها........................١٧٤
الذكر طريق إلىٰ حب الله........................١٧٧
من فوائد الذكر أنه ينهىٰ عن الغيبة والنميمة........................١٧٨

الجهل سبب من أسباب قلة الذكر لله................................. ١٨٧

سؤال الله التوفيق والفوز في الدارين................................. ١٨٨

ختم المنظومة بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.............................. ١٩٠

الصلاة والسلام على الصحابة ومن تبعهم................................. ١٩١

المراجع... ١٩٣

فهرس الموضوعات.. ٢١٥

❁❁❁

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah